الفصل الأول
المذهب المالكى

(نشأة المذهب وانتشاره- أصول المذهب- مصطلحات المذهب- أعلام المذهب)

أولاً: نشأة المذهب المالكى وانتشاره:

"نشأ المذهب المالكى فى "المدينة" التى كانت مصدر الإشعاع العلمى، إذ هى المقر الأصلي لرسول الله ﷺ، وصحابته من المهاجرين والأنصار، فمن الطبيعى جداً -إذن- أن تكون هى المقر الأصلي لمدرسة الحديث، لأنها موطنه الحقيقى؛ ولأن بها الكثيرَ من حفظة الحديث، فإذا كان فيها عمر بن الخطاب المتشدد فى الأخذ بالحديث، فإن فيها عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعائشة أم المؤمنين، وغيرهم ممن لا يميلون إلى الأخذ بالرأى.

وبعد هؤلاء جاء سعيد بن المسيب الذى كان على رأس هذه المدرسة، ومن بعده ابن شهاب الزهرى، ونافع مولى عبد الله بن عمر، حتى جاء مالك الذى نشأ بـ"المدينة"، فحمل لواء هذه المدرسة، بل إن مدرسة "المدينة" كلها تركزت فيه" (١).

ولكن هذا لا يعنى أن الإمام مالك رحمه الله لم يأخذ بالرأى فبالنظر إلى "كتاب الموطأ نجد أن مالكاً قد استعمل فيه الرأى بكفايةٍ، لكى يسد به الحاجة التى تستدعيها الحياة العملية ولا تفى بها النصوص الموجودة وهنا أحس فى نفسه بالقدرة الكافية على أن يبدى رأيه فى الوقائع التى لا توجد فيها سنةٌ مدينةٌ أو إجماع مدنى، واستعمل الرأى كثيراً، حتى قيل فى سبيل الاتهام له إنه قد تعرق" (٢).

---

(١) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، تاريخ التشريع الإسلامى، ج(٢)، (بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م)، ص ١٠٣.

(٢) على حسن عبد القادر، نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى، ط(٣)، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥م)، ص ص ٢٥٧: ٢٥٨.

"فابن قتيبة يعد مالكاً فقيه رأى، وأن المعاصرين لمالك رحمه الله كانوا يعتبرونه فقيه رأى، حتى ليسأل بعضهم فى عصر من للرأى بالمدينة بعد ربيعة ويحيى بن سعيد؟ فأجاب بأن مالكاً له من بعدهما" (١)

ولقد جمع الإمام مالك رحمه الله بين الإمامة فى الحديث، والإمامة فى الفقه "فقد كان فى الحديث المرجع الثقة لكل من جمع الحديث وكتبه، والأصل الأول لجميع أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، كان المحدث الفاحص للرجال، الناقد المحص للمرويات يعمل على التوفيق بينها وبين كتاب الله وسائر أصول الشريعة.

وكان فى الفقه الإمام الذى يرجع إليه، ويهتدى بهديه، وتوزن الآراء على رأيه فكان ذا بصيرةٍ نافذةٍ بالفتيا، واستنباط الأحكام، وقياس الأشباه بأشباهها، ومعرفة مصالح الناس"(٢).

ولُقِّب الإمام مالك رحمه الله بإمام دار الهجرة وجلس رحمه الله بالمسجد النبوى مكان عمر بن الخطاب ﷺ وهو المكان الذى كان يوضع فيه فراش النبى ﷺ فقصده الناس من كل حَدَبٍ وصوبٍ يطلبون منه الحديث والفقه والرأى والفتيا حتى ذاع صيته فى شتى الأقطار الإسلامية.

وهكذا فقد أسس الإمام مالك رحمه الله دعائم المذهب المالكى بالمدينة وقد اعتمد" فى استخراج الأحكام على ظاهر النص، فسمى أتباعه بالظاهرية؛ لأنهم جعلوا أحكامهم منحصرةً فى النصوص بالإجماع، وهو ما عرف أيضاً بالمصالح المرسلة، أى كل مصلحةٍ ضروريةٍ للمجتمع ويحصل بها نفع أو تدرأ ضرراً، ولا تعارض النص" (٣).

(١) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ط(٢)، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٢م)، ص٢٥١.
(٢) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٤.
(٣) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ط(٢)، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م)، ص ١٨١.

وانتشر المذهب المالكى انتشاراً واسعاً فقد "غلب على الحجاز، والبصرة، ومصر، وما والاها من بلاد أفريقية، والأندلس، وصقلية، والمغرب الأقصى، إلى بلاد من أسلم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً، وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وظهر بنيسابور، وكان بها وبغيرها أئمةٌ ومدّرسون" (١).

وكان لانتشار المذهب المالكى فى تلك البلدان أسبابٌ عديدةٌ منها: "انتشر ذلك المذهب الجليل ببلاد الحجاز وغلب عليها وكان ذلك طبيعياً؛ لأنه مذهبٌ نشأ ببلاد الحجاز، وبطريقة أهل الحجاز فى الاستنباط، فكان من الطبيعى أن يغلب عليهم، فإنه نبع بينهم، واستقى من بيئتهم، ونزع عن قوسهم" (٢).

ثم انتشر ذلك المذهب الجليل "بمصر فى حياة الإمام مالك؛ نقله تلاميذه إليها (٣) "فابن القاسم وأشهب وابن وهب وأصبغ وغيرهم من المصريين كانوا حملة العلم المالكى وناشريه، فالمدونة التى تُعَد الكتاب الأول لمسائل مالك وفتاويه صدرت عن ابن القاسم بمصر، أخذها عنه أولا أسد بن الفرات، ثم أخذها منقحةً مراجعةً من بعده سُحنون" (٤).

ومن مصر"انتقل إلى تونس حتى أقصاه أسد بن الفرات الذى اعتنق المذهب الحنفى، بعدما كان مالكياً؛ فَسَادَ المذهبُ الحنفى إلى أن جاء المعز بن باديس، فحمل أهل تونس وما والاها من بلاد المغرب على المذهب المالكى وما زال مسيطراً إلى الآن" (٥).

أما أهل الأندلس فقد "التزموا مذهب الأوزاعى حتى قدم عليهم الطبقة الأولى ممَّن لقى الإمام مالكاً كزياد بن عبد الرحمن، وشيطون، والغازى بن قيس، وقرعوس، ونحوهم فنشروا مذهبه، وأخذ الأمير هشام الناس به، فالتزموا وحملوا عليه بالسيف (٦).

---

(١) عبد الغنى الدقر، الإمام مالك بن أنس، سلسلة أعلام المسلمين (٢٣)، ط(٣)،(دمشق: دار القلم،١٩٩٨م)،ص ٢٧٨.
(٢) محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٣٨٢.
(٣) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٥.
(٤) محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص٣٨٣.
(٥) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٥.
(٦) محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص٢٨٠.

ثانيا: أصول المذهب المالكى :

"إن مالك بن انس –رحمه الله– كان له منهجٌ فى الاستنباط الفقهى لم يدوّنه ولكنه صرح بكلامٍ يُستفاد منه بعض أصول هذا المنهج الذى أرسى دعائمه تلامذته من بعده، الذين دونوا منهاجه، وهى الأصول التى قام عليها المذهب" (١).

"فمنهاج إمام دار الهجرة أنه يأخذ بكتاب الله تعالى أولاً، فإن لم يجد فى كتاب الله تعالى نصاً اتجه إلى السنة، ويدخل فى السنة عنده أحاديث رسول الله وفتاوى الصحابة وأقضيتهم، وعمل أهل المدينة، ومن بعد السنة بشتى فروعها يجئ القياس، وهو إلحاق أمرٍ غير منصوصٍ على حكمه بأمرٍ آخر منصوصٍ على حكمه، لوصفٍ مشتركٍ بينهما يكون هو علة الحكم التى بنى عليها. ومع القياس المصلحة وسد الذرائع والعرف والعادات"(٢).

وفيما يلى نشير إلى كل أصلٍ من هذه الأصول :

١- الكتاب العزيز :

قال الشاطبى المالكى "إن الكتاب قد تقرر أنه على الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاه بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقريرٍ أو استدلالٍ لأنه معلومٌ من دين الأمة وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الإطلاع على كليات الشريعة، وطمع فى إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها أن يتخذه سميره، وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالى نظراً وعملاً، لا اقتصاراً على أحدها، فيوشك أنه يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة ويجد نفسه من السابقين، وفى الرعيل الأول، فإن كان قادراً على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من

(١) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٥.
(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٩٦م)، ص ٤١٤.

زال ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذه بيده فى هذا المقصد الشريف والمرتبة المنيفة" (١).

وقد "نظر مالك ﷺ إلى القرآن تلك النظرة السامية، ولذا لم يرَ إلا قارئاً للقرآن، أو راوياً للحديث، أو مستنبطاً منهما فتاوى فى المسائل التى تعرض له، أو يسأل عنها من طلابه، من مشارق الأرض ومغاربها"(٢).

"وقد ذكر المالكية أن مالكاً كان يأخذ بنص القرآن وظاهره، أى: كان يأخذ بنصه الصريح الذى لا يقبل تأويلاً، ويأخذ بظاهره المتردد بين احتمالين فأكثر، وهو فى أحدهما أرجح، فيأخذ بالأرجح والأظهر ولا يُؤَوِّل النص، ما دام لا يوجد دليلٌ من الشريعة على وجوب التأويل"(٣)، "ويأخذ بمفهوم الموافقة وهو فحوى الكلام، وذلك بأن ينص القرآن الكريم على حكمٍ ويفهم ما هو أقوى منه فى معنى هذا الحكم من هذا النص من غير أى مجهودٍ عقلى، مثل قول الله تعالى : فى شأن أموال اليتامى ومن يأكلونها:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ (٤)

فإن هذا النص يفهم منه بالأولى النهى عن تبديد أموال اليتامى والتقصير فى المحافظة عليها"(٥).

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ ... فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ... ﴾ (٦)

فإنه يقتضى تحريم الضرب من باب أولى"(٧).

---

(١) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره- آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٢١٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٢١٩.
(٣) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٤.
(٤) سورة النســـاء : الآية ١٠ .
(٥) المرجع السابق، ص٤١٤.
(٦) سورة الإسراء : من الآية ٢٣ .
(٧) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ص ١٠٧: ١٠٨.

ويأخذ الإمام مالك أيضاً بمفهوم "الإيماء أو التنبيه على العلة هو: أن يقترن الحكم بوصفٍ لو لم يكن هذا الوصف للتعليل، لكان الاقترَن بعيداً"(١).

"كما فى قوله تعالى:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ ...﴾(٢)

فإن هذا يُستفاد منه أن العلة فى التحريم أنه رجسٌ أى طعامٌ ردىٌ وبىٌ، ليحرم كل ما يمثله فى هذه الصفات" (٣).

ومنه قوله الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ... ﴾(٤)

فقوله تعالى: "وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ " نهىٌ عما يمنع من الواجب، وهو التشاغل بالبيع المانع من فعل الجمعة، فيكون ذلك إيماءً إلى أن العلة فى تحريم البيع هو التشاغل عن الجمعة"(٥).

ويأخذ الإمام مالك أيضاً بمفهوم المخالفة وهو "إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه.

ومنه قوله تعالى:

﴿...وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ ... ﴾(٦)

---

(١) المرجع السابق، ج(٢)، ص١٠٨.
(٢) سورة الأنعام: من الآية ١٤٥ .
(٣) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٤.
(٤) سورة الجمعة: من الآية ٩ .
(٥) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٨.
(٦) سورة النساء: من الآية ٤٣.

فإن مفهومه إن اغتسلتم فلكم أن تقربوا الصلاة، فلولا أن الغسل يجزئ عن الوضوء، لما كان للمغتسل أن يقرب الصلاة" (١).

"وهكذا يأخذ بكل ما يفهم من الكتاب أيضاً، أو بإشارةٍ أو تنبيهٍ أو مفهومٍ، ويقدم الكتاب على ما عداه من السنة. وكان يروى الحديث بسنده، ثم يرده لأنه يخالف كتاب الله تعالى. فروى حديث "إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعاً، إحداهن بالتراب الطاهر"، ولم يأخذ به واعتبره غير موطإ غير ثابت، لأن القرآن الكريم أباح أكل صيده فى قوله تعالى :

﴿...وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ (٢)

وقال : كيف يباح صيده، ويكون نجساً؟" (٣).

(٢) السنة :

تأتى "السنة فى المرتبة الثانية التى تلى الكتاب.

وهو يأخذ بالمتواتر منها، وهو الذى رواه جمعٌ يؤمن اتفاقهم على الكذب، عن جمعٍ مثلهم، حتى يصلوا بذلك إلى النبى ﷺ. ويأخذ بالمشهور منها، وهو ما رواه عن النبى ﷺ واحدٌ من الصحابة أو اثنان أو أكثر لم يبلغوا حد التواتر، ثم رواه عن الصحابة عددٌ يؤمن اتفاقهم على الكذب، أو رواه أحد أو أكثر من التابعين، ثم رواه من بعدهم عددٌ يؤمن تواطؤهم على الكذب فاشتهار، يكون فى عصر التابعين، أو تابعى التابعين، ولا غير، بالاشتهار بعد ذلك وهو يقارب المتواتر فى قوته فى الاستدلال. ويأخذ بخبر الآحاد، وهو الذى لم يتواتر ولم يشتهر فى عهد التابعين، ولا فى عهد تابعى التابعين"(٤)

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١٠٨.
(٢) سورة المائدة : من الآية ٤.
(٣) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٥.
(٤) المرجع السابق، ص ٤١٥.

"ولكن يقدمون عليه عَمَل أهل "المدينة"، ويردون بعضه فى بعض الأحيان، ويقدمون خبر الواحد الثقة على القياس، يشترط أن يكون موافقاً لعمل أهل المدينة" (١).

(٢) عمل أهل المدينة :

"المراد بعمل أهل المدينة": هو اتخاذ عمل أهل المدينة" حجة يحتج بها، وكان مالك رحمه الله- يحتج بعمل الصحابة، والتابعين، وتابعيهم كذلك، وليس الصحابة وحدهم، ولا الفقهاء السبعة فقط" (٢)

"وقد نقل مالك إجماع أهل المدينة فى موطئه على نيفٍ وأربعين مسألةً، ثم عملهم ثلاثة أنواع(٣):

- أحدها: أن يُجمعوا على أمرٍ ثم لا يخالفهم فيه غيرهم.
- الثانى: أن يُجمعوا على أمرٍ ولكن يوجد لهم مخالفٌ من غيرهم، وعن هذين القسمين يُعبِّر مالك بقوله: السنة التى لا اختلاف فيها عندنا.
- الثالث: ما فيه الخلاف بين أهل المدينة أنفسهم.

أما الأول فهو حجةٌ عند الجميع يجب إتباعه وممن صرح بذلك ابن القيم وهو من الحنابلة الذين لا يسلمون الإجماع إلا فى قليلٍ من المسائل.

أما الثانى والثالث فمحل نزْعٍ بين المالكية وغيرهم، على أن الذى هو حجةٌ عندهم بلا خلافٍ هو عمل أهل المدينة النقلى لا الاجتهادي فالنقلى كنقلهم تعيين محل منبره وقبره ومحل وقوفه للصلاة عليه السلام ، ونقلهم للأعيان كمقدار المد والصاع وأوقية الفضة وهذا حجةٌ عند الجميع، وقد احتج به مالك على أبى يوسف بحضرة الرشيد فرجع عما كان يقوله إلى قول مالك، ومن هذا النوع نقلهم الأذان للصبح قبل الفجر، وتثنية الأذان، وإفراد

(١) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٨.
(٢) المرجع السابق، ج(٢)، ص ص ١١٤: ١١٥.
(٣) الثعالبى (محمد بن الحسن الحجرى الثعالبى الفاسى، ت ١٣٧٦هـ)، الفكر السامى فى الفقه الإسلامى، تحقيق أيمن صالح شعبان، ج(١)، القسم الأول والثانى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ص ص ٤٥٨: ٤٥٩.

الإقامة، وهذا النوع لا تظن أن مالكاً انفرد بالعمل به، بل هو والمجتهدون فيه سواءٌ أما عملهم الذى طريقة الاجتهاد والتفقه لا النقل فهو محل نزْعٍ حتى عند المالكية .

قال القاضى عبد الوهاب: فيه ثلاثة أوجهٍ:

الأول: أنه ليس بحجةٍ ولا يرجع به أحد الاجتهادين أصلاً على الأخر وعليه الأبهرى، والقاضى أبو الفرج وغيرهما.

الثانى: أنه ليس بحجةٍ ولكن يرجح به اجتهادهم على اجتهاد غيرهم وبه قال بعض الشافعية.

الثالث: أنه حجةٌ كإجماعهم من طريق النقل ولكن لا تحرم مخالفته وعليه قوم من أصحابنا كابن المعذل.

(٤) فتوى الصحابى (*):

"كان- مالك ﷺ يأخذ بفتوى الصحابى على أنها حديث واجب العمل به، ولذلك أُثِر عنه أنه عمل بفتوى بعض الصحابة فى مناسك الحج، وترك عملاً للنبى باعتبار أن ذلك الصحابى ما كان يفعل ما فعل فى مناسك الحج من غير أمر النبى ﷺ ، إذ إن المناسك لا يمكن أن تعرف إلا بالنقل. ورأى أن مالكاً ﷺ كان يأخذ بفتاوى كبار التابعين ولكنه لا يرفعها إلى مرتبة أقوال الصحابة، وبالأولى لا يرفعها إلى مرتبة ما ينسب إلى النبى ﷺ إلا أن يصادف ذلك إجماع أهل المدينة" (١).

(٥) الإجْماعُ :

يعرف الإجْماعُ إصطلاحا بأنه "اتِّفاقُ عُلماءِ العَصْرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ على أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ"(٢).

(*) الصَّحابِيُّ عِنْدَ المالِكِيَّةِ: مَنِ اجْتَمَعَ بالنَّبِيِّ ﷺ فى حياتِهِ، مُؤْمِناً بهِ، ومات على ذلِكَ. (القاموس الفقهى لغةً واصطلاحاً، مرجع سابق، ص ٢٠٨).

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٧.

(٢) سعدي أبو جيب، مرجع سابق، ص ٦٦.

"ولعل مالكاً ﷺ أكثر الأئمة الأربعة ذكراً للإجماع واحتجاجاً به، ففى الموطأ نجده فى مواضع كثيرة يذكر الحكم فى القضية على أنه الأمر المجتمع عليه، ويعتبر ذلك سنداً يسوغ له أن يفتى به"(١).

(٦) القِياسُ :

يعرف القياس اصطلاحاً بأنه "إلْحاقُ الْحُكمِ الواجب لِشَيءٍ ما بالشّرعِ، بالشَّيءِ المسْلُوتِ عَنْهُ، لِشِبْهِهِ بالشّيء الذى أَوْجَبَ الشَّرْعُ لَهُ ذلك الحُكْمَ، أَوْ لِعِلَّةٍ جامِعَةٍ بَيْنَهُما"(٢).

"وكان مالك ﷺ يقيس على الأحكام المنصوص عليها فى القرآن الكريم، والأحكام المستمدة من الأحاديث النبوية، وفى الموطأ الكثير من ذلك، نراه يأتى فى أول الباب الأحاديث الثابتة عنه فيه، ثم بعد ذلك يفرع الفروع، ويلحق الأشباه بأشباهها، والأمثال بأمثالها، وكذلك كان يقيس على الأمور التى رأى أنها موضع اجتماع أهل المدينة لأنها عنده سنة فكان يذكر فى الموطأ الأمر المجتمع عليه، ثم يفرع الفروع أخذاً بمبدأ التساوى فى الأحكام عند وجود التماثل فى الملابسات التى تحيط بالمسائل التى كان يستفتى فيها"(٣).

"وفى الجملة كان يقيس على الأمور المنصوص على حكمها فى المصادر النقلية أو ما هى فى حكم النقلية عنده، وهى الكتاب والسنة واجتماع أهل المدينة وفتاوى الصحابة(٤).

(٧) الاستحسان:

"إن مالكاً يرجح حكم المصلحة على حكم القياس، فلو كان القياس يقتضى إلحاق الحكم غير المنصوص بحكمٍ معينٍ منصوصٍ عليه، والمصلحة توجب غير ذلك- غلب جانب المصلحة، والأخذ بالمصالح يسميه مالك: استحساناً"(٥)، ولذلك كان يقول "الاستحسان

(١) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٢٧١.
(٢) سعدي أبو جيب، مرجع سابق، ص ٣١٢.
(٣) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ص ٢٩٠: ٢٩١.
(٤) المرجع السابق، ص ٢٩١.
(٥) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١١٣.

تسعةُ أعشار العلم" وإن التمسك بالقياس حيث لا نص قد يُضيق واسعاً، ولذلك قال ابن وهب "المغرق فى القياس يكاد يفارق السنة"(١).

"والاستحسان عند المالكية- بحسب سنده- على أنواع: فمنه ما يكون سنده العرف ومنه ما يكون سنده المصلحة، ومنه ما يكون سنده رفع الحرج وإيثار التوسعة، ومن ضروبه أيضاً: مراعاة الخلاف" (٢).

"وفى الجملة إن مالكاً يخضع لحكم المصلحة إن لم يكن نصٌ قرآنىٌ أو حديثٌ نبوى لأن التشرع ما جاء إلا لمصالح الناس، فكل نص شرعى مشتمل على المصلحة بلا ريب، فإن لم يكن نص فالمصلحة الحقيقية الملائمة لمقاصد الشرع من شرع الله تعالى" (٣).

(٨) الاستصحاب:

"هو ظن بقاء الحكم فى الحال أو الاستقبال بناء على ثبوته فى الماضى، وعدم قيام الدليل على تغييره. وهذا النوع من الأصول: اتفق العلماء على حجية بعضه، واختلوا فى حجية البعض الآخر. والمالكية أخذوا بهذا الدليل، وتوسعوا فيه" (٤).

"والاستصحاب حجة عند مالك ما لم يقم دليلٌ يعارضه" (٥).

(٩) المصالح المرسلة:

"المصلحة- عند جمهور الأصوليين- عبارة عن الثمرة المترتبة على الأحكام التى شرعها الله لعباده.

أو بتعبيرٍ آخر: عبارةٌ عما قصده الشارع الحكيم لعباده من تشريع الأحكام من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم حفظاً تاماً"(٦).

---

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٨.
(٢) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١١٣.
(٣) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٨.
(٤) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١١٢.
(٥) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٣٠٥.
(٦) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١١٧.

"ولا شك أن الأخذ بهذا المنهاج الذى سلكه فقهاء المالكية والحنابلة يجعل الشريعة الإسلامية خصبةً مثريةً، منتجةً مشبعةً لحاجات الناس فى كل عصرٍ وفى كل مكانٍ"(١).

"فهما ينحوان ناحية الحكم بأن أوامر الدين والأخلاق والقوانين تتجه إلى إسعاد الناس، وأن المنفعة أو المصلحة تصلح مقياساً ضابطاً لكل ما هو مأمورٌ به فى الدين أو منهىٌ عنه، كما أنها فى نظر الفلاسفة الذين يقررونها، مقياسٌ الفضيلةِ والرذيلةِ فى الأخلاق، والعدل والنظم فى القانون" (٢).

"ويشترط للعمل فى الأخذ بالمصلحة المرسلة شروط أهمها شرطان:

- **الأول**: ملائمتها لمقاصد الشرع.

- **الثانى**: كونها معقولةً فى ذاتها" (٣).

(١٠) سد الذرائع :

الذَّرِيعَةُ اصطلاحاً "الوَسِيلَةُ والسَّبَبُ إلى الشَّىْءِ" (٤)، "ومعنى سد الذرائع: رفعها ومؤدى الكلام أن وسيلة المحرم محرمةٌ، ووسيلة الواجب واجبةٌ، فالفاحشة حرامٌ، والنظر إلى عورة الأجنبية حرامٌ، لأنها تؤدى إلى الفاحشة، والجمعة فرضٌ، فالسعى لها فرضٌ وترك البيع لأجل السعى فرضٌ أيضاً، والحج فرضٌ، والسعى إلى البيت الحرام وسائر مناسك الحج فرضٌ لأجله" (٥).

وقد قسّم علماء الأصول ما يؤدى إلى مفسدة، إلى أربعة أقسام(٦):

- **أولها**: ما يكون أداؤه إلى مفسدةٍ مقطوعاً به كحفر بئرٍ خلف باب الدار بحيث يسقط فيها الداخل منه.

---

(١) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٣١١.
(٢) المرجع السابق، ص ٣١١.
(٣) على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١١٨.
(٤) سعدي أبو جيب، مرجع سابق، ص ١٣٦.
(٥) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٣٤٠.
(٦) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٩.

- **ثانيها**: ما يغلب على الظن أداؤه إلى مفسدةٍ غالباً، كبيع العنب لمن تكون صناعته إعداده للخمر.

- **ثالثها**: ما يكون أداؤه إلى المفسدة نادراً، كحفر بئر فى موضع لا يؤذى.

والنوعان الأولان محرمان بلا ريب عند مالك، والثالث ليس بحرامٍ عنده، لأن الأحكام لا تناط بالنادر إذ النادر لا حكم له.

والقسم الرابع: ما يكون أداؤه إلى المفسدة كثيراً، ولكن ليس غالباً، كالبيع بالأجل الذى قد يؤدى إلى الربا، ويتخذه بعض الناس سبيلاً. وهذا يتنازعه عاملان عامل الإذن الأصلى، وهو يقتضى الحل، وعامل ما قد يفضى إليه، وهذا يقتضى التحريم.

ولذلك قرر المالكية صحةَ التصرف، ويترك قصد الربا لنية الفاعل. فإن قصده فهو آثمٌ قلبه وعقابه عند الله، وإن لم يقصده فإنه لم يرتكب إثماً.

ويمكننا القول بأن "سد الذرائع محمودٌ ومعتبرٌ شرعاً، وهو أحد أرباع الدين كما يقول ابن قيم الجوزية- إذ التكليف: أمرٌ ونهىٌ.

والأمر نوعان:

أحدهما: مقصودٌ لنفسه.

والثانى: وسيلةٌ إلى المقصود.

والنهى نوعان:

أحدهما: ما يكون المنهى عنه مفسدةً فى نفسه.

والثانى: ما يكون وسيلةً إلى المفسدة. فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحدَ أرباع الدين"[1].

(١) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ص ١١٩: ١٢٠.

(١١) العادات والعرف:

"العرف هو الأمر الذى تتفق عليه الجماعة من الناس فى مجارى حياتها، والعادة هى العمل المتكرر من الآحاد والجماعات، وإذا اعتادت الجماعة أمراً صار عرفاً لها، فعادة الجماعة وعرفها متلاقيان فى المؤدى، وإن اختلف مفهومها، فهما يتلاقيان فيما يختص بالجماعات"(١).

"والفقه المالكى كالفقه الحنفى يأخذ بالعرف، ويعتبره أصلاً من الأصول الفقهية فيما لا يكون فيه نصٌ قطعىٌّ، بل إنه أوغل فى احترام العرف أكثر من المذهب الحنفى، لأن المصالح وعامة الفقة المالكى فى الاستدلال، ولا شك أن مراعاة العرف الذى لا فساد فيه ضربٌ من ضروب المصلحة لا يصح أن يتركه الفقيه، بل يجب الأخذ به، والمالكية يتركون القياس إذا خالف العرف(٢).

ولكن مراعاة العرف مقيدةٌ بشروطٍ أهمها ما يلى(٣):

١- أن يكون العرفُ المرادُ تحكيمُه فى التصرفات قائماً عند إنشائها، فلا عبرة للعرف الحادث بالنسبة إلى الماضى، سواءٌ كان هذا العرف قوليًّا أو فعليّاً.

٢- أن يكون العرف مطرداً أو غالباً.

٣- ألا يعارضه تصريحٌ يفيد عكسَ مضمونه، وهذا الشرط خاص بالعرف الذى ينزل منزلة النطق بالأمر المتعارف عليه.

٤- ألا يخالف نصًّا من نصوص الشرع، فإذا جرى عرفُ الناس على عمل نهى عنه الشارع بخصوصه- كاختلاط الرجال بالنساء والتبرج- فإن هذا العرف لا اعتبار له.

---

(١) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٣٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٣.
(٣) على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٢١.

فإذا توفرت فى العرف الشروطُ السابقةُ اعتبر؛ فهو قاعدةٌ عظيمةٌ من قواعد الفقه يظهر أثرها فى المجال التطبيقى، ومراعاتُها دليلٌ صلاحية الشريعة لجميع الأزمنة والأمكنة.

"هذه أصول الإمام مالك ﷺ التى استخرجها علماء مذهبه من جملة الفروع المأثور عنه. والتى وجدوا أن هذه الفروع تتفرع عنها، وترجع إليها، واستقام لديهم من جملة المصادر المختلفة أن مالكاً ﷺ كان يعتمد عليها فى استنباطه"(١).

"هذا وإن الإمام مالك قد فتح باب المصادر وأكثر منها، ولذلك كان مذهبه خصباً وكان فقيهاً مصلحياً يربط الأصول الشرعية بمصالح الناس"(٢).

ثالثاً: مصطلحات المذهب المالكى:

هناك مجموعة من الألفاظ والمصطلحات الخاصة بفقهاء المالكية، وقد استخدمها أئمة السادة المالكية فى أمهات مصادر المذهب، وعلى الباحث أن يكون على درايةٍ بما تشمله هذه الألفاظ والمصطلحات من معانٍ حتى لا يختلط لديه فهم النص الفقهى وللوقوف على ما أراده الفقيه من معنى ودلالة.

وفيما يلى نعرض أهم هذه المصطلحات الخاصة بالمذهب المالكى، وشرح معانيها(٣):

(١) الكتاب:

الكتاب إذا أُطلق: يريدون منه "المدونة" لصيرورته عَلَماً بالغلبة عليها كالقرآن عند هذه الأمة، وكتاب سيبويه عند النحويين، وكتاب القدورى عند الحنفية.

---

(١) محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره -آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص ٣٥٩.
(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤١٩.
(٣) راجع فى ذلك:
- إبراهيم المختار أحمد عمر الزيلعى، المدخل الوجيز فى اصطلاحات مذهب السادة المالكية، تحقيق: عبد الله توفيق الصباغ، (القاهرة: مكتبة النور، ١٩٩٣م)، ص ص ٧: ١٨.
- حمدى عبد المنعم شلبى، مرجع سابق، ص ص ١٨: ٢٧.

(٢) الأمهات:

الأمهات أربعٌ: "المدونة" لسُحنون، و"المستخرجة" لمحمد بن أحمد العتبى الأندلسى وتعرف بالعتبية، و "الموَّازية" لمحمدٍ بن إبراهيم الاسكندرى المعروف بابن مواز و "الواضحة" فى السنن والفقه لعبد المالك بن حبيب السلمى.

(٣) الدواوين:

ويقال الدواوين سبعة:

الأربعة الأُوَل.

٥- "المختلطة "لابن القاسم.

٦- "المبسوطة" للقاضى إسماعيل.

٧- "المجموعة" لابن عبدوس.

(٤) الفقهاء السبعة:

المراد بالفقهاء السبعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وخارجة بن زيد بن ثابت، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسليمان بن يسار، واختلف فى السابع فقيل أبو سلمه بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل سالم بن عبد الله، وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن.

(٥) العبادلة:

العبادلة يزيدون بهم أربعة، عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس.

(٦) المدنيون:

المدنيون من أتباع مالك يشار بهم إلى كنانة، وابن الماجشون، ومطرف، وابن نافع وابن مسلمة، ونظرائهم.

(٧) المصريون:

المصريون، يشار بهم إلى ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وأصبغ بن الفرج، وابن عبد الحكم ونظائرهم.

(٨) العراقيون:

العراقيون يشار بهم إلى القاضى إسماعيل بن إسحاق، والقاضى ابن الحسين بن القصار، وابن الجلاب، والقاضى عبد الوهاب، والقاضى أبى الفرج، والشيخ أبى بكر الأبهرى ونظائرهم.

(٩) المغاربة:

المغاربة يشار بهم إلى الشيخ ابن أبى زيد وابن القابسى، وابن اللباد والباجى واللخمى، وابن محرز، وابن عبد البر، وابن رشد، وابن العربى، والقاضى سند والمخزومى وابن شبلون، وابن شعبان.

(١٠) القرينان:

القرينان أشهب وابن نافع، فقرن أشهب مع ابن نافعٍ لعدم بصره.

(١١) الأخوان:

الأخوان: مطرف، وابن الماجشون، وسميا بذلك لكثرة ما يتفقان عليه من الأحكام وملازمتها.

(١٢) المحمَّدان:

المحمدان: ابن المواز وابن سُحنون، وعند ابن عرفة ابن المواز، وابن عبد الحكم.

(١٣) المحمَّدون:

المحمدون أربعة: وهم الذين اجتمعوا فى عصرٍ واحدٍ من أئمة مذهب مالك ما لم يجتمع مثلهم فى زمان، اثنان قرويان: ابن عبدوس، وابن سحنون، واثنان مصريان: ابن عبد الحكم، وابن المواز.

(١٤) القاضيان:

القاضيان هما: ابن القصار، وعبد الوهاب.

(١٥) الإمام:

الإمام المأزرى.

(١٦) الشيخ:

الشيخ: يطلق على ابن أبى زيد.

(١٧) الصقليان:

الصقليان: ابن يونس، وعبد الحق.

(١٨) الشيخان:

الشيخان: أبو محمد عبد الله بن أبى زيد، وأبو الحسن على القابسى.

(١٩) الروايات والأقوال:

الروايات: أقوال مالك، والأقوال: أقوال أصحابه، ومن بعدهم من المتأخرين، كابن رشد، ونحوه.

(٢٠) الاتفاق والإجماع والجمهور:

المراد بالاتفاق: اتفاق أهل المذهب، وبالإجماع: إجماع العلماء، وإذا قالوا الجمهور عنوا بهم الأئمة الأربعة.

(٢١) المذهب:

المذهب فى الأصل هو مكان الذهاب ثم صار حقيقةً عرفيةً فيما ذهب إليه إمامٌ من الأئمة والمذهب يطلق عند المتأخرين من أئمة المذهب على ما به الفتوى، ومن إطلاق الشيء على جزئه الأهم، كالحج عرفة، لأن ذلك هو الأهم عند الفقيه المقلد.

(٢٢) المراد بمذهبه:

المراد بمذهبه ما قاله هو وأصحابه على طريقته، ونسب إليه مذهباً، كونه على قواعده، وأصله الذى بنى عليه مذهبه، وليس المراد ما ذهب إليه وحده دون غيره من أهل المدينة.

(٢٣) الطريقة والطرق:

الطريقة: عبارةٌ عن شيخٍ، أو شيوخٍ يروون المذهب كله على ما نقلوه. و"الطرق" عبارة عن اختلاف الشيوخ فى كيفية نقل المذهب.

(٢٤) المتأخرون والمتقدمون:

أول طبقات المتأخرين فى اصطلاح المذهب: ابن أبى زيد ومن بعده، والمتقدمون من قبله.

(٢٥) الأظهر والمشهور والصحيح والأصح ومقابل ذلك:

إذا قيل الأظهر كان فيه إشعار بأن مقابله فيه ظهور أيضاً لأن الأظهر اسم تفضيلٍ يقتضى المشاركة وزيادة. والمشهور يقابله الغريب، والصحيح يقابله الضعيف. والأصح يشعر بصحة مقابلة لأنه اسم تفضيل كالأظهر.

رابعاً: أعلام المذهب المالكى:

نحاول فيما يلى الترجمة لأهم أعلام المذهب المالكى عينة الدراسة وذلك على النحو التالى:

١- الترجمة للإمام مالك بن أنس مؤسس المذهب (ت ١٧٩هـ).

٢- الترجمة للإمام سحنون (ت ٢٤٠هـ).

٣- الترجمة للإمام ابن الحاج (ت٧٣٧هـ).

٤- الترجمة للإمام خليل (ت ٧٦٧هـ).

٥- الترجمة للإمام المَوَّاق (ت ٨٩٧هـ).

٦- الترجمة للإمام الحطاب (ت ٩٥٤هـ).

وتعد المصادر التى قامنا بتحليلها وجعلها حدوداً لدراسته والخاصة بالأئمة الستة السابق ذكرهم عينةً صادقةً التمثيل لمراحل تطور الفقه المالكى وتحتل مكان الصدارة بين

مصادر المذهب المالكى، فبعض هذه المصادر قد قامت حولها الشروح والحواشى مثل كتاب "مختصر خليل".

والأعلام السابق ذكرهم يمثلون بصدق مراحل التطور الزمنى للمذهب المالكى فهم يمثلون الطبقات المختلفة لأعلام المذهب.

وفيما يلى نعرض الترجمة لأهم أعلام المذهب المالكى عينة الدراسة: :

مالك بن أنس :

اسمـــه: هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة الإمام الحافظ المحدث الفقيه أمير المؤمنين فى الحديث "مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث، وكنيته أبو عبد الله الأصبحى(*)، المدنى"(١).

"أحد أئمة المذاهب المتبعة فى العالم الإسلامى" (٢).

مولده: ولد الإمام مالك رحمه الله سنة "ثلاثٍ وتسعين من الهجرة(٣). وهذا الذى ذهب إليه أكثر المؤرخين للرجال.

(*) الأَصْبَحى: بفتح الألف وسكون الصاد المهملة وفتح الباء المنقوطة بنقطة فى أخرها حاء مهملة، هذه النسبة إلى أصبح واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن سداد بن زرعة وهو من يعرب قحطان، وأصبح صارت قبيلة. السمعانى (الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى، ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودى، ج(١)، (بيروت: دار الجنان، ١٩٨٨م)، ص ١٧٤.

(١) راجع فى ذلك:
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج١١، (بيروت: دار إحياء التراث العربى، د.ت)، ص ١٦٨.
- القيسى (شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسى الدمشقى، ت٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه فى ضبط أسماء الرواه وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقوسى، ج(٣)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م) ص ٣٥٤.
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى، ت٩١١هـ)،لُب اللباب فى تحرير الأنساب،د.ن، ص ١٧
- ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى، ت٨٥٢هـ)، طبقات المدلسين تحقيق: عاصم بن عبد الله القريونى، ج١، (عمان: مكتبة المنار، ١٩٨٣م)، ص٢٣.
- مصطفى الشكعة، الإمام مالك بن أنس، الأئمة الأربعة (٢)، (القاهرة: دار الكتاب المصرى، ١٩٨٣م)، ص٣.
- عبد الحليم الجندى، مالك بن أنس، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م)، ص ٣.

(٢) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص ١٦٨.

(٣) ابن فرحون (الإمام القاضى إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكى، ت٧٩٩هـ)، الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محيى الدين الجنان، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٦م)، ص ٥٩.

بلدته:

كان مولد الإمام مالك بالمدينة وبها أقام حتى توفى رحمه الله، وقد كانت المدينة منبع العلم ومجمع العلماء "وهى مدينة الرسول ﷺ، ولها تسعة وعشرون اسماً المدينة وطيبة وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، المحببة والمحبورة، ويثرب، والناجية والموفية وأكّالة البلدان، والمباركة، والمحبوفة، والمسلمة، والمجنة، والقدسية، والعاصمة والمرزوقة والشافية، والحيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، القاصمة وطابا"[1]

"إن الحياة فى المدينة كانت تناسب طبيعة مالك فقد ظلت المدينة بعيداً عن مضطرب التيارات الفكرية التى تصطخب فى غيرها من مدائن المسلمين، فهى تعيش على السنن المتوارثة وتنأى بنفسها عن صراع العقائد، والجدل الفلسفى، وكلام الباحثين فيما وراء الغيب، وكل ما أنتجته ترجمة الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية. إنها حقاً قريةٌ مؤمنةٌ وربٌ غفورٌ.

ومالك بن أنس رجل يحب الدعة وينشد السكينة، ويعكف على الدرس المطمئن. وهو يكره الجدل واللجاج والصخب والمناظرة، والكلام فيما لا ينفع الناس فى حياة كل يوم"[2].

رحلته فى طلب العلم :

طلب الإمام مالك بن أنس رحمه الله العلم فى سنٍ مبكرةٍ .

" قال مطرق .

قال مالك: قلت لأمى أذهب فأكتب العلم .

فقالت : تعالى فالبس ثياب العلم. فألبستنى ثياباً مشمرةً ووضعت الطويلة على رأسى وعممتنى فوقها.

---

(١) ياقوت الحمرى (الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندى، ج(٥)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ص ٩٨.

(٢) عبد الرحمن الشرقاوى، الإمام مالك بن أنس، أئمة الفقه التسعة (٤)، ط(٢)، (بيروت: دار العصر الحديث ١٩٨٥م)، ص ٨٥.

ثم قالت : إذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبله علمه.

وقال ابن القاسم: أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نَقَضَ سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد"(١).

وقال الزبيرى: "رأيت مالكاً فى حلقة ربيعة وفى أذنه شَنْف وهذا يدل على ملازمته الطلب فى صغره. وكان يقول كتبت بيدى مائة ألف حديث" (٢).

ويروى عن مالك بن أنس أنه كانت لديه همةٌ فى طلب العلم، فمن ذلك قوله: "إن كان الرجل ليختلف للرجل ثلاثين سنة يتعلم منه، فظننا أنه يريد نفسه مع ابن هرمز(٣).

وقال ابن عينية: "ما رأيت أحداً أجود أخذاً للعلم من مالك(٤).

ونرى أن رحلات مالك بن أنس رحمه الله فى طلب العلم لم تكن كثيرةً، ولذلك أسباب منها أنه كان يعيش فى المدينة طيلة حياته، وقد كانت هى محج العلماء من كل البلدان فكان يفد إليها علماء الأمصار "ليظفروا بما عند أهل المدينة من فضلٍ وعلمٍ، ذلك لأنَّ الكثرة من كبار الصحابة أقاموا فيها وأخذ عنهم من كبار التابعين المقيمين بها"(٥) وقد يكون من الأسباب الأخرى التى منعته من الرحلة الفقر، فمما يروى عنه رحمه الله "لا يبلغ أحدٌ ما يريد من هذا العلم حتى يضر به الفقر، ويؤثر على كل حاجة"(٦)، وعنه أيضاً رحمه الله "جالست ابن هرمز ثلاث عشرة، كنا نجلس فى صحن مسجد النبى ﷺ حتى اتخذت سراويل محشواً"(٧).

---

(١) القاضى عياض (القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى، ت ٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ص ٥٤.

(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٦٣.

(٣) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ٥٥.

(٤) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٦٤.

(٥) عبد الغنى الدقر، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٦) الأصفهانى (الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى، ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج(٦) (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ص ٣٣١.

(٧) أبو حاتم الرازى (شيخ الإسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن أدريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى، ت٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، ج(١)، (بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٩٥٢م)، ص ٢٨.

شيوخه :

لقد كان السلف الصالح ومنهم الإمام مالك بن أنس رحمه الله يتلقون العلم من أفواه العلماء مباشرةً، فكانت وسيلتهم فى ذلك حضور مجالس العلم، فمنهم من قصرت همته فى الطلب بحيث لا يتجاوز شيوخه عدد أصابع اليد، ومنهم من زاد على ذلك، ومن هؤلاء إمامنا مالك بن أنس رحمه الله، فمشايخه كثيرون، وإننا نجد أنه كلما زاد عدد الشيوخ كلما ازداد العلم، ومن شيوخه رحمه الله[1]:

١- إبراهيم بن أبى عَبْلة المَقْدسِيِّ .

٢- إبراهيم بن عُقْبة .

٣- أبو الأسْوَد محمد بن عبد الرَّحمن بن نَوْفَل .

٤- أبو الزِّجّال محمد بن عبد الرحمن الأنصارىِّ .

٥- أبو الزُّبَيْر المَكىِّ .

٦- أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عُمر بن الخَطَّاب .

٧- أبو بكر بن نافع مولى ابن عمر .

٨- أبو سُهيل نافع بن مالك .

٩- أبو عُبيد حاجِب سليمان بن عبد الملك .

١٠- أبو لَبْلَى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَهْل الأنْصارىِّ .

١١- إسحاق بن عبد الله بن أبى طَلْحة .

١٢- إسماعيل بن أبى حكيم .

١٣- أيوب أبى تَميمة السَّخْتِيانّى .

١٤- أيوب بن حُبيب الزُّهْرىِّ .

---

(١) المزّى (الحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزّى، ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق: أحمد على عبيد، حسن أحمد آغا، ج(١٧)، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٤م)، ص ص ٣٨١: ٣٨٢).

١٥- ثَوْر بن زيد الدِّيلىِّ .

١٦- جعفر بن محمد الصَّادق .

١٧- حُبَيْب بن عبد الرحمن .

١٨- حُمَيْد الطويل .

١٩- حُمَيْد بن قَيْس المَكىِّ الأَعْرَج .

٢٠- داود بن الحُصَيْن .

٢١- رَبيعة بن أبى عبد الرحمن .

٢٢- زياد بن أبى زياد مولى ابن عَيَّاش .

٢٣- زياد بن سَعْد .

٢٤- زيد بن أبى أُنَيْسة .

٢٥- زيد بن أبى رَباح .

٢٦- زيد بن أَسْلَم .

٢٧- سالم أبى النَّضْر .

٢٨- سَعْد بن إسحاق بن كَعْب بن عُجْرة .

٢٩- سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرىِّ .

٣٠- سعيد بن عَمرو بن شُرَحْبيل .

٣١- سَلَمة بن دِيْنار المَدَنىِّ .

٣٢- سُمَىّ مولى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

٣٣- سُهَيل بن أبى صالح .

٣٤- شريك بن عبد الله بن أبى نَمِر .

٣٥- صالح بن كَيْسان .

٣٦- صَفْوان بن سُلَيم .

٣٧- صَيْفى مولى أبى أيوب.

٣٨- ضَمْرة بن سعيد المَازنىَّ.

٣٩- طَلْحة بن عبد الملك الأَيْلىِّ.

٤٠- عائشة بنت سَعْد بن أبى وَقَّاص.

٤١- عامر بن عبد الله بن الزُّبير.

٤٢- عبد الرَّحمن بن حَرْمَلة الأسْلَمىِّ.

٤٣- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعَة.

٤٤- عبد الرحمن بن محمدبن أبى بى بكر الصديق.

٤٥- عبد الكريم بن أبى مغارق البصرى أبى أمَّية.

٤٦- عبد الكريم بن مالك الجَزَرِىِّ.

٤٧- عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزمْ.

٤٨- عبد الله بن الفَضْل الهاشمىِّ.

٤٩- عبد الله بن دِيْنار.

٥٠- عبد الله بن ذكْوان أبى الزِّناد.

٥١- عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد أبى طُوالة.

٥٢- عبد الله بن عبد الرحمن.ويقال: إنه ابن أبى ذباب.

٥٣- عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عَتِيك.

٥٤- عبد الله بن يزيد بن هُرْمز.

٥٥- عبد الله بن يزيد مولى الأسْوَد بن سُفيان.

٥٦- عبد المجيد سُهَيل بن عبد الرحمن بن عَوْف.

٥٧- عبد رَبِّه بن سعد الأنصارىِّ.

٥٨- عبيد الله بن أبى عبد الله الأغَر.

٥٩- عَطاء الخُراسانيَّ .

٦٠- عَلْقَمة بن أبى علقمة .

٦١- عَمرو بن مُسلم بن عبد الرحمن بن يَعْقوب .

٦٢- عَمرو مولى المُطَّلب .

٦٣- الفُضَيْل بن أبى عبد الله .

٦٤- قَطَن بن وهب .

٦٥- كثير بن زَيْد الأسْلَميِّ .

٦٦- كثير بن فَرْقَد .

٦٧- محمد بن أبى أُمامه بن سَهْل .

٦٨- محمد بن أبى بكر الثَّقَفيِّ .

٦٩- محمد بن المُنكدر .

٧٠- محمد بن حَبَّان .

٧١- محمد بن زيد بن المُهاجر بن قُنْفُد .

٧٢- محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَة .

٧٣- محمد بن عُمارة بن عَمرو بن حَزْم .

٧٤- محمد بن عَمرو بن حَلْحَلة .

٧٥- محمد بن مسلم بن شِهاب الزُّهْريِّ .

٧٦- مَخْرَمة بن سُلَيْمان .

٧٧- مُسلم بن أبى مريم .

٧٨- المِسْوَر بن رِفاعة القُرَظيِّ .

٧٩- موسى بن أبى تَمِيم .

٨٠- موسى بن عُقْبة .

٨١- موسى بن مَيْسَرة مولى بن الدِّيل .

٨٢- نافع مولى ابن عمر .

٨٣- نُعَيْم بن عبد الله المُجْمِر .

٨٤- هشام بن عُروة .

٨٥- هشام بن هشام بن عُتْبه بن أبى دَقَّاس .

٨٦- هلال بن أبى مَيْمونة .

٨٧- وَهْب بن كَيْسان .

٨٨- يحيى بن سعيد الأنْصارىِّ .

٨٩- يزيد بن رُومان .

٩٠- يزيد بن زياد بن أبى زياد مولى ابن عَيَّاش .

٩١- يزيد بن عبد الله بن الهاد .

٩٢- يزيد بن عبد الله بن خُصَيْفة .

٩٣- يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط .

٩٤- يونُس بن يوسُف بن حِمَاس .

وإذا نظرنا إلى شيوخه فسنجد فيهم المدنىّ، والمكىّ، والكوفى، والبصرى، وغيرهم وهذا يدل على مدى همته فى طلب العلم رحمه الله.

تلاميذه :

لمالك بن أنس رحمه الله تلاميذ كثيرون، يقصر الجهد دون عِّدهم، فقد كان بجانب كونه محدثاً كبيراً، فهو فقيهٌ عظيمٌ، بنشر علمه، ويحدث به، ولا يبخل به أبداً، فطوال حياته المديدة كان يجلس فى المسجد النبوى يعلم الناس أمور دينهم ودينا هم ويفتيهم ويجيب

مسائلهم، ويروى لهم حديث رسول الله ﷺ، فاجتمع فى مجلسه الفئام من الناس ينشدون العلم من فم هذا الحبر الجليل، فمن تلاميذه رحمه الله[1].

١- إبراهيم بن طَهْمان

٢- إبراهيم بن عبد الله بن قُرَيْم الأنْصارىُّ قاضى المدينة

٣- إبراهيم بن عُمر بن أبى الوَزِير

٤- أبو إسحاق الفَزَارىُّ

٥- أبو الوليد الطَّيالِسِىُّ

٦- أبو حذافة أحمد بن إسماعيل السَّهْمِىُّ

٧- أبو عاصم الضَّحاك بن مَخْلَد

٨- أبو عامر العَقَدىُّ

٩- أبو علىّ الحَنَفِىُّ.

١٠- أبو غَسَّان محمد بن يحيى الكِتائىُّ.

١١- أبو قُتَيْبَة سَلْم بن قُتَيبة.

١٢- أبو لبيده محمد بن غَياث السَّرجسىُّ.

١٣- أبو مُسْهِر عبد الأعْلَى بن مُسْهِر الغَسَّانىُّ.

١٤- أبو مُصْعَب أحمد بن أبى بكر الزُّهْرِىُّ.

١٥- أبو نُباته يونُس بن يحيى المَدَنِىُّ.

١٦- أبو نُعيْم الفَضْل بن دُكِيْن.

١٧- أحمد بن عبد الله بن يونُس.

١٨- إسحاق بن سُلَيْمان الرَّازىُّ.

١٩- إسحاق بن عيسى بن الطَّبَّاع.

---

(١) المرجع السابق، ج (١٧)، ص ص ٣٨٣: ٣٨٤.

٢٠- إسحاق بن محمد الفَرْوِىُّ .

٢١- إسماعيل بن أبى أُوَيْس .

٢٢- إسماعيل بن عُلَيَّه .

٢٣- إسماعيل بن موسى الفَزَارِىُّ .

٢٤- أشْهَب بن عبد العزيز .

٢٥- بِشْر بن عُمر الزَّهْرانىُّ .

٢٦- جُوَيْرية بن أسْماء .

٢٧- حبيب بن أبى حبيب كاتب مالك .

٢٨- الحُسين بن الوليد النَّيسابورىُّ .

٢٩- حَمَّاد بن مَسْعَدة .

٣٠- خالد بن عبد الرحمن الخُرسانىُّ .

٣١- خالد بن مَخْلَد القَطَوانىُّ .

٣٢- خلف بن هِشام البَزَّار .

٣٣- داود بن عبد الله بن أبى الكَرَم الجَعْفَرىُّ .

٣٤- ذُؤَيْب بن غمامة السَّهْمِىُّ .

٣٥- رَوْح بن عُبادة .

٣٦- زُهَير بن سُلَيْمان .

٣٧- زيد بن أبى الزَّرْقاء .

٣٨- زيد بن الحُباب .

٣٩- زيد بن يحيى بن عبيد الدَّمشقىُّ .

٤٠- سعيد بن الحَكَم بن أبى مريم .

٤١- سعيد بن داود الزَّبْيَرىُّ .

٤٢- سعيد بن عمرو بن الزُّبير بن عَمرو بن عَمرو بن الزُّبير الزُّبَيْرىُّ .

٤٣- سعيد بن كثير بن عُفَيْر .

٤٤- سعيد بن منصور .

٤٥- سُفيان الثورىُّ ومات قبله .

٤٦- سُفيان بن عُيَيْنة .

٤٧- سَلَمة بن العَيَّار .

٤٨- سُوَيْد بن سعيد .

٤٩- شُعبة بن الحَجَّاج ومات قبله .

٥٠- شُعَيب بن حَرْب .

٥١- عبد الأعْلَى بن حَمَّاد التَّرْسىُّ .

٥٢- عبد الرَّحمن بن القاسم المِصْرىُّ .

٥٣- عبد الرَّحمن بن عَمرو الأوْزَاعىُّ وهو أكبر منه .

٥٤- عبد الرَّحمن بن غَزْوان المعروف بقرَاد أبى نوح .

٥٥- عبد الرَّحمن بن مهدىّ .

٥٦- عبد العزيز بن عبد الله الأوَيْسىُّ .

٥٧- عبد الله بن إدْريس .

٥٨- عبد الله بن الجَرَّاح القُهُسْتانىُّ .

٥٩- عبد الله بن المُبارك .

٦٠- عبد الله بن رَجاء المَكِّىُّ .

٦١- عبد الله بن عَبد الوهَّاب الحَجَبِىُّ .

٦٢- عبد الله بن محمد النُّفَيْلىُّ .

٦٣- عبد الله بن مَسْلَمة .

٦٤- عبد الله بن نافع الدُّبَيْرِىُّ .

٦٥- عبد الله بن نافع الصَّائغ .

٦٦- عبد الله بن وَهْب .

٦٧- عبد الله بن يوسف التِّنِّيسىُّ .

٦٨- عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون .

٦٩- عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج وهو أكبر منه .

٧٠- عثمان بن عُمر بن فاس .

٧١- عُقْبة بن خالد السَّكُونِىُّ .

٧٢- عُقْبه بن عبد الله المَرْوَزِىُّ .

٧٣- على بن الجَعْد .

٧٤- القاسم بن يزيد الجَرْمِىُّ .

٧٥- قُتَيْبة بن سعيد البَلْخىُّ .

٧٦- كامل بن طَلْحة الجَحْدَرِىُّ .

٧٧- لَيث بن خالد البَلْخِىُّ .

٧٨- لَيث بن سَعْد وهو من أقرانه .

٧٩- محمد بن إدريس الشَّافِعِىُّ .

٨٠- محمد بن خالد بن عَثمة .

٨١- محمد بن سُلَيمان بن أبى داود الحَرَّانىُّ .

٨٢- محمد بن مُسلم بن شِهاب الزُّهرِىُّ وهو من شيوخه .

٨٣- مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْرِىُّ .

٨٤- مُطَرِّف بن عبد الله اليَسارِىُّ .

٨٥- معاوية بن هشام القَصَّار .

٨٦- مُعَلى بن منصور الرَّازىُّ.

٨٧- مَعْن بن عيسى القزَّاز.

٨٨- مَكىّ بن إبراهيم البَلْخىُّ.

٨٠- منصور بن أبى مُزَاحم.

٩٠- موسى بن أَعْيَن الجَزَرىُّ.

٩١- النُّعمان بن السَّلام الأصْبَهانىُّ.

٩٢- هشام بن عبيد الله الرَّازىُّ.

٩٣- هشام بن عَمَّار الدِّمشقىُّ.

٩٤- ورقاء بن عُمر البَشْكُرىُّ ومات قبله.

٩٥- وكيع بن الجَرَّاح.

٩٦- الوليد بن مُسلم.

٩٧- وُهَيْب بن خالد وهو من أقرانه.

٩٨- يحيى بن إبراهيم بن أبى قُتَيْلَة.

٩٩- يحيى بن أبى عُمر العَدَنىُّ.

١٠٠- يحيى بن أيوب المِصْرىُّ.

١٠١- يحيى بن زكريا بن أبى زَائدة.

١٠٢- يحيى بن سعيد الأنصارىُّ وهو من شيوخه.

١٠٣- يحيى بن سعيد القَطَّان.

١٠٤- يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر.

١٠٥- يحيى بن قَزَعة.

١٠٦- يحيى بن يحيى الأنْدلسىُّ.

١٠٧- يحيى بن يحيى النَّيسابورىُّ.

١٠٨- يزيد بن عبد الله بن الهاد وهو من شيوخه .

١٠٩- يونس بن عُبِيْد الله العُمَيْرىُّ .

ونحن إذا دققنا فى أسماء شيوخه وتلاميذه رحمة الله سنجد تكراراً لبعض الأسماء ولكن هذا أمرٌ عاديٌّ، فبعض من روى عنهم مالك بن أنس رحمه الله روى عنه أيضاً، ولذلك أوردناهم فى ثبت تلاميذه والله تعالى أعلم.

مناقب مالك وثناء العلماء عليه :

إننا إذا تحدثنا عن مناقب الإمام مالك رحمه الله فإن القلم يقصر عن ذلك، ولسوف نحتاج إلى أن نسوِّد مئات الصفحات لكى نعبر عن جزءٍ بسيطٍ من مناقب هذا الإمام العظيم.

لقد كانت للإمام رحمه الله مناقبُ عظيمةٌ قلما تجتمع فى غيره من الأكابر، وعندما نذكرها سنجد أنفسنا أمام رجلٍ نسيج وحدة فى شئون كثيرة، وينفرد الإمام مالك رحمه الله من بين هؤلاء جميعاً بميزةٍ هامةٍ تدل على عظيم قدره، وهى أنه ندر من ذمه أو عابه أو قدح فى علمه من المتقدمين أو المتأخرين، وإننا ما إن نستعرض ترجمته فى أى كتابٍ من كتب الرجال أو التاريخ حتى نجده يُمدَح فيه، وذلك يدل على أنهم قد أجمعوا على إمامته وجلالة قدره وعظيم أثره فى الأمة الإسلامية على اختلاف فرقها ومذاهبها.

وإذا نظرنا إلى حياة ذينك الجهبذِ الكبيرِ علامةِ عصره، سنجدها مليئةً بالأحداث فهى حياةٌ مديدةُ امتدت على مدارِ تسعين عاماً حافلةً بالعطاء والعلم والتعليم والعمل، ففى مجال العلم نجده أبرز علماء عصره علماً، وفى التعليم يكفى أن ننظر إلى تلاميذه فنجد أنهم يبلغون المئات من مختلف الأقطار الإسلامية، فكان يحرص على تعليمهم وبث العلم فيهم والنظر فيما يصلح لهم، ويُصلح أحوالهم فتخرج على يديه الكثير من الفقهاء والمحدثين والعلماء، وفى مجال العمل بالعلم فالإمام مالك من لا يبارى فى ذلك ولم يستطيع كبار

علماء عصره أن يبلغوا مرتبته على جلالة أقدارهم فهو بالنسبة لهم الشمس بين النجوم والقدوة للمقتدين، ونعرض الآن لصنوف من مناقبه عسانا نستطيع أن نبين قدره.

١- ورعة وتقواه :

إن إمامنا الحافظ الفقيه المحدث مالك هو إمام أهل الورع وشيخهم، والقدوة لهم وهو فى ذلك دليل السالكين إلى الله تعالى، ينير لهم الطريق ويرشدهم إلى الخير أيما إرشاد.

وقد رُوى عن مالك رحمه الله فى صفة تقواه وورعه الشئُ الكثيرُ، وأثنى عليه فيها الكثير من أهل العلم وخصوصاً المشاهير منهم كسفيان الثورى، وسفيان بن عيينه، وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم الكثير.

كان مالك رحمه الله كثير الصلاة قواماً قالت فاطمة بنت مالك: "كان مالك يصلى كل ليلةٍ حزبه فإذا كانت ليلةُ الجمعة أحياها كلها.

قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعةً فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائمٌ يصلى فلما فرغ من الحمد لله ابتدأ بألهاكم التكاثر حتى بلغ ثم لَتُسْأَلُنَّ يومئذٍ عن النعيم فبكى بكاءاً طويلاً، وجعل يرددها ويبكى، وشغلنى ما سمعت ورأيت منه عن حاجتى التى خرجت إليها فلم أزل قائماً وهو يرددها ويبكى حتى طلع الفجر.

فلما تبين له ركع فصرت إلى منزلى فتوضأت ثم أتيت المسجد فإذا به فى مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نورٌ حسنٌ " (١).

"قال ابن وهب قيل لأخت مالك بن أنس ما كان شغل مالك بن أنس فى بيته؟ قال: المصحف والتلاوة" (٢).

"**قال أبو مصعب**: كان مالك يطيل الركوع والسجود فى ورده وإذا وقف فى الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيءٌ.

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٩٢.
(٢) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق،ج(١)، ص١٨.

فلما ضُرب قيل له: لو خففت فى هذا قليلاً.

فقال ما ينبغى لأحدٍ أن يعمل لله عملاً إلا حسنه، والله تعالى يقول :

﴿ ... لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ... ﴾ (١)

وذكر ابن القاسم أن خادم مالك قال له: إن لمالك اليوم بضع وأربعين سنة. قلما يصلى الصبح إلا بضوء العتمة" (٢).

"وكان لإخلاصه لا يقول هذا حرامٌ أو هذا حلالٌ، إلا إذا كان ثمة نصٍ صريحٍ، أما ما يكون استنباطاً بوجهٍ من وجوه الرأى، فإنه لا يقول حلال وحرام .

بل يقول : أكره، واستحسن. وكثيراً ما كان يعقب على ذلك بقوله مقتبساً من القرآن الكريم :

﴿ ...إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾" (٣)

ومن ورعه رحمه الله قول الإمام ابن المبارك "رأيت مالكاً فرأيته من الخاشعين وإنما رفعه الله بسريرةٍ بينهٍ وبينه، وذلك أنى كثيرٌ ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن يفتح له فرجه فى قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله فى السر أكثر منه فى العلانية" (٤).

"قال خالد بن نزار الايلى: ما رأيت أحداً أنزع بكتاب الله عزوجل من مالك بن أنس. وقد رأى خالد سفيان الثورى وسفيان بن عيينه والليث بن سعد وغيرهم"(٥).

---

(١) سورة الملك : من الآية ٢ .

(٢) النووى (أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى، ت٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، ج(٢)، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٧٨.

(٣) سورة الجاثية : من الآية ٣٢ . محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٩٩.

(٤) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٩٢.

(٥) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٨.

"قال ابن وهب : وكان أكثرُ عبادة مالك فى السر بالليل والنهار حيث لا يراه أحدٌ قال أبو بكر الأوسى : كان مالك قد أدام النظر فى المصحف قبل موته بسنين وكان كثير القراءة طويل البكاء. وقال ابن مهدى: سمعت مالكاً يقول: لو علمت أن قلبى يصلح على كناسةٍ لذهبت حتى أجلس عليها"(١).

"وقد بلغ الأمر بالإمام مالك فى بعض سلوكه أن جعل من الأناقة شيئاً لنفى مظاهر التفاخر بالعبادة. فكثيرٌ من الناس يحبون أن يعرفوا بكثرة الصلاة من علامة بجباههم تسمى الزبيبة يساعد على ظهورها السجود على شيء خشن .

وليس كل صاحب زبيبة مفاخراً بها جاعلاً منها سبباً للإعلان عن تقوى ذاته وصلاح أمره .

بل هى على الأغلب تنبت فى جباه الصالحين الركع السجود، وأما علاقة مالك بهذا الأمر فهو أنه كان يحمل فى كمه منديلاً مطوياً على أربع طاقات.

فإذا حان وقت الصلاة نشره وسجد عليه. فقيل له فى ذلك، فقال: أجعله لئلا يؤثر الحصى فى جبهتى فيظن الناس أنى أقوم الليل"(٢).

"وقال ابن مهدى : ما رأيت أحداً أتم عقلاً ولا أشد تقوى من مالك(٣).

ويذكر ابن تغرى بردى" وكان الإمام مالك رحمه الله عظيم الجلالة كبير الوقار غزير العلم متشدداً فى دينه"(٤).

ويذكر الإمام ابن حجر العسقلانى "ومالك كان ثقةً مأموناً ثبتاً ورعاً فقيهاً عالماً حجةً"(٥).

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص١٨.
(٢) - مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص٤٢.
- القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٩٣.
(٣) الساعدى (صفى الدين أحمد بن عبد الله بن أبى الخيرى عبد العليم الخزرجى الأنصارى، ت ١٣٠١هـ، خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، (القاهرة: المطبعة الكبرى الميرية، د.ت)، ص٣٦٦.
(٤) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى)، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج(٢)، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م)، ص ٩٦.
(٥) ابن حجر العسقلانى، تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج١٠، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٤م)، ص ٧.

ومن ورعه أيضاً ما روى عنه من قوله "ما كنت لاعباً فلا تلعبن بدينك، وقد سئل مالك بن أنس عن الداء العضال فقال: الخبث فى الدين"(١).

ويذكر الإمام ابن النديم" كان مالك من عباد الله الصالحين"(٢).

وقال الحميدى "حدث القعنبى .

قال: دخلت على مالك وهو يبكى فى مرض وفاته فقلت: ما يبكيك؟

فقال لى : ومالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى والله لوددت أنى ضُربت بكل مسألةٍ أفتيت فيها برأى بسوطٍ سوط، وقد كانت لى السعة فيما قد سُبِقتُ إليه وليتنى لم أفت بالرأى"(٣).

ومما يدل على شدة ورعه وتقواه قول الحارث بن مسكين "رحم الله مالكاً، ما كان أصونه للعلم وأصبره على الفقر ولزوم المدينة. أمر له بجوائز ثلاثة آلاف دينار فما استبدل منزلاً غير المنزل الذى كان فيه ولا استفاد منه غلةً ولا صنعةً ولا تجارةً.

قال ابن القاسم : كان لمالك رحمه الله تعالى أربعمائة دينار يتجر له بها، فمنها كان قوام عيشة ومصلحته"(٤).

ومما يشهد له بالورع ماروُى عنه "كان مالك عظيم المحبة لرسول الله ﷺ مبالغاً فى تعظيم حديثه حتى كان لا يركب فى المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا أركب فى بلد فيها جسد رسول الله ﷺ مدفون"(٥).

ويورد الإمام الذهبى "قال مخلد بن خداش سألت مالكاً عن الشطرنج فقال أحق هو فقلت لا قال فماذا بعد الحق إلا الضلال"(١).

---

(١) الأصفهانى، مرجع سابق، ج(٦)، ص ص ٣١٩: ٣٢٠.
(٢) ابن النديم، الفهرست، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، (بيروت: دار المعرف، ١٩٩٤م)، ص ٢٤٧.
(٣) الثعالبى، مرجع سابق، ص ٤٥٣.
(٤) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٩٥.
(٥) ابن العماد الحنبلى (الإمام أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى، ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج(١)، (بيروت: دار المسيرة، د.ت)، ص ٢٨٩.

٢- علمه وثناء العلماء عليه :

إننا إذا نظرنا إلى سيرة إمامنا مالك بن أنس رحمه الله فسنجد أنه لم يُمدَح أحدٌ من العلماء بقدر ما مُدحَ مالك رحمه الله وسنجد أيضاً أن ذلك يكاد يكون إجماعاً من العلماء المؤرخين على جلالةِ قدرِهِ وسعة علمه وعظيم فضله، والروايات فى ذلك كثيرةٌ، وقد جاءت على لسان كبار علماء هذا العصر من المحدثين والفقهاء وكذلك أئمة المذاهب الثلاثة رضى الله عنهم أجمعين.

فمنهم من أثنى على تقواه وورعه ومنهم من أثنى على جوده وسخائه ورحمته بالمساكين والفقراء ومنهم من أثنى على علمه ورجاحة عقله وأدبه وعظيم شأنه فى الحديث والفقه.

"قال الشافعى قال لى محمد بن الحسن أى أعلم صاحبنا أو صاحبكم يعنى أبا حنيفه ومالكاً رحمهما الله تعالى قلت على الإنصاف قال نعم قلت أنشدك الله من أعلم بالقرآن قال صاحبكم قلت فمن أعلم بالسنة قال صاحبكم قلت فمن أعلم بأقاويل الصحابة قال صاحبكم قلت فما بقى إلا القياس وهو لا يكون إلى على هذه الأشياء"(٢).

وفى بداية ترجمته لمالك ﷺ قال أبو نعيم الأصفهانى "فمنهم – أى من أولياء الله إمام الحرمين، المشهور فى البلدين الحجاز والعراقين، المستفيض مذهبه فى المغربين والمشرقين؛ مالك بن أنس ﷺ . كان أحد النبلاء وأكمل العقلاء. ورث حديث الرسول ونشر فى أمته علم الأحكام والأصول تحقق بالتقوى فابُتلِىَ بالبلوى(٣).

وقال الإمام ابن عيينة "كان مالك إماماً فى الحديث" (٤).

وقال الشافعى: "العلم يعنى الحديث يدور على ثلاثة: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينه، والليث بن سعد"(١).

---

(١) الذهبى (الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبد الله ، ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوس، ج(٨)، ط(٩)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ)، ص ١٠٨.
(٢) ابن العماد الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)،ص٢٨٩.
(٣) الأصفهانى، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣١٦.
(٤) البخارى (الحافظ أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى، ت٢٥٦هـ)، كتاب التاريخ الكبير، ج(٤) القسم الأول، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص٣١٠.

وقال ابن مهدى: "ما بقى على وجه الأرض آمن على حديث رسول اللّهﷺ من مالك"(٢).

وقال خلف "دخلت على مالك بن أنس فقال لى: أنظر ما تحت مُصَلاتى أو حَصيرى فنظرت فإذا بكتابٍ فقال: أقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعضُ إخوانه.

فقال: رأيت النبى ﷺ فى المنام فى مسجده وقد اجتمع الناس عليه فقال لهم: إنى قد خبأت لكم تحت منبرى طيباً أو علماً وأمرت مالكاً أن يفرقه على الناس. فانصرف الناس وهم يقولون إذاً يُنفذ مالك ما أمر به رسول اللّه ﷺ. ثم بكى فقمت عنه"(٣).

وقال محمد بن سعيد "وكان مالك ثقةً، مأموناً، ثبْتاً ورعاً، فقيهاً، عالماً، حُجَّةً"(٤).

قال عبد الرحمن بن مهدى "سفيان الثورى إمامٌ فى الحديث وليس بإمامٍ فى السنة والأوزاعى إمامٌ فى السنة وليس بإمامٍ فى الحديث؛ ومالك بن أنس إمامٌ فيهما جميعاً"(٥).

ويذكر الإمام الذهبى: "ولم يكن بالمدينة عالمٌ من بعد التابعين يشبه مالكاً فى العلم والفقه والجلالة والحفظ"(٦).

وقال الشافعى: إذا ذُكر العلماء فمالكُ النجمُ"(٧).

وقال أبو موسى الأشعرى قال رسول اللّهﷺ "يخرج ناسٌ من المشرق والمغرب فى طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة أو عالم أهل المدينة"(*)(١).

---

(١) ابن عبد البر (الإمام الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبى، ت٤٦٣هـ)، التمهيد لما فى المُوَطّأ مِنَ المعَانى وَالمسانِيد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج(١)، (بيروت: دارالكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ص ٥١.

(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٦٦.

(٣) ابن الجوزى (الإمام جمال الدين أبى الفرج بن الجوزى، ت٥٩٧ هـ)، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخورى محمد رواسى قلعه جى، ج(٢)،(بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص ١٧٨.

(٤) المزى، مرجع سابق، ج(١٧)، ص ٣٨٩.

(٥) بطاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، م(٢)، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ١٩٦.

(٦) الذهبى، مرجع سابق،ج(٨)، ص ٥٨.

(٧) الذهبى، العبر فى خَبَر مَنْ غَبَر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٢١٠.

(*) الحاكم النيسابورى (الحافظ محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ص ١٦٨.

وقد قال ابن عيينه أنه :مالك بن انس[٢] ؛ وقال أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى "أمناء الله على علم رسول اللهﷺ ثلاثة: شعبة بن الحجاج ويحيى بن سعيد ومالك بن أنس"[٣].

"وقال ابن هرمز لجاريته يوماً: مَنْ بالباب؟ فلم تر إلا مالكاً، فذكرت ذلك له، فقال أدعيه، فإنه عالم الناس، وقال بعضهم : سمعت بقية بن الوليد فى جماعة ممن يطلب الحديث ومشيخة من أهل المدينة يقولون ما بقى على ظهرها يعنى الأرض أعلم بسنةٍ ماضيةٍ ولا باقيةٍ منك يا مالك. وقال محمد بن عبد الحكم: إذا انفرد مالك بقول لم يقله مَنْ قبله فقوله حجةٌ توجب الاختلاف؛ لأنه إمام. فقيل له فالشافعى؟ فقال لا"[٤].

"وقال القاضى ﷺ : قال زياد بن يونس ما رأيت قط عالماً ولا عابداً ولا شاطراً ولا والياً أهيب من مالك رحمه الله تعالى"[٥].

قال ابن وضاح: وسمعت أبا جعفر الأيلى يقول: سمعت ابن وهب مالا أحصى يقول: لولا أن الله أنقذنى بمالك والليث لضللت"[٦].

وعن الإمام أبى الحسن بن عاصم - رحمه الله- أنه كان يقول: رحم الله مالكاً، إن الفؤد ليسكن إلى حديثه؛ لأنه كان شديد الأتباع لما ورد إليه من السنة"[٧].

"قال أبو عبد الله مولى الليثيين - وكان مختاراً- قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المسجد قاعداً والناس حوله، ومالك قائمٌ بين يديه، وبين يدى رسول اللهﷺ مسك، وهو يأخذ

(١) ابن نقطة (الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغنى البغدادى المعروف بابن النقطة الحنبلى، ت ٦٢٩هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م)، ص ٤٣٧.
(٢) ابن كثير الدمشقى، ت ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، ج(٩)، ط(٥)، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٣م)، ص ١٧٥.
(٣) النسائى (الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى، ت ٣٠٣هـ)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق: بوران الصنباوى، كمال يوسف الحوت، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٥م)، ص ١٢٣.
(٤) بطاش كبرى زاده، مرجع سابق، م(٢)، ص ٦٦.
(٥) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٨٤.
(٦) ابن عبد البر، مرجع سابق، ص ٥١.
(٧) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٣.

منه قبضةً قبضةً فيدفعها إلى مالك ومالك ينشرها على الناس. قال مطرف: فأولت ذلك العلم واتباع السنة"(١).

"وعن محمدٍ بن رمح قال رأيت النبى ﷺ من أربعين سنة فى المنام فقلت يا رسول الله مالك والليث يختلفان فى مسألةٍ فقال النبى ﷺ مالك مالك مالك ورث جدى يعنى إبراهيم عليه السلام"(٢).

"وكان عبد الرحمن بن مهدى يقول: أئمة الناس فى زماننا أربعة ، سفيان الثورى بالكوفة ، ومالك بالحجاز، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة"(٣).

مالك المُحدِّث :

لا يخفى على مسلمٍ ما للسنة النبوية من قدرٍ فى قلوب المسلمين، فالسنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى ؛ فما قاله النبى ﷺ من قولٍ أو فعله من فعلٍ فهو وحىٌ من الله إلا ما كان من أمور العادة.

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(٤)

ونحن هنا بصدد الحديث عن الإمام الكبير الحافظ المحدِّث مالك بن أنس وهو من أكابر علماء المسلمين ممن قال الله ﷻ فيهم :

﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ... ﴾(٥)

وقال تعالى أيضاً فيهم :

﴿...شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ... ﴾(٦)

---

(١) الأصفهانى، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣١٧.
(٢) النووى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٧٨.
(٣) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص١١.
(٤) سورة النجم : الآية من ٣ : ٤ .
(٥) سورة فاطر : من الآية ٢٨ .
(٦) سورة فاطر : من الآية ٢٨ .

"وقال الإمام أبو حنيفة : إن لم يكن العلماء أولياء الله فى الأرض فليس لله فيها ولى، وقال الأحنف بن قيس: كل عزٍ لم يؤيد بعلمٍ فإلى ذلٍ يصير" ، وقيل العلم يوطئ الفقراء بسط الملوك"(١).

فإمامنا العظيم مالك بن أنس قد قام بجهدٍ كبيرٍ فى رواية هذه السنة المطهرة هو وكوكبةٌ من العلماء الإجلاء فنشروا السنة النبوية بين الناس وجعلهم الله سبباً فى حفظ حديث رسول الله ﷺ فرووا الحديث بالإسناد المتصل، فالإسناد هو الخاصية التى اختص الله سبحانه وتعالى بها هذه الأمة دون غيرها من الأمم.

وقد رأينا أن نبدأ بمقدمة عن الحديث، وفضل روايته، وشرف أصحابه:

أ - شرف علم الحديث :

قال رسول اللهﷺ "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم يرى بعدى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وبسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة"(*).

وهذا أمرٌ بالتزام السنة وإتباعها، فلهذا كانت رواية الحديث الشريف من أهم العلوم الشرعية التى حضّ عليها رسول اللهﷺ ، فقام علماء الإسلام يجمعون الحديث ويبذلون الجهد المضنى لتمييز صحيحه من ضعيفه.

ومن هؤلاء العلماء الإمام الكبير مالك بن أنس الذى خُلّد ذكره برواية حديث رسول اللهﷺ فلا شك أن رواية الحديث شرفٌ لأصحابه وحفظه يقربهم من اللهﷻ .

(١) الراغب الأصبهانى، محاضرة الأدباء، ج(١)، (القاهرة: مكتبة عيسى البابى الحلبى، د.ت)، ص ١٣.

(*) أحمد بن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى، ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، ج(٤)، (مصر: مؤسسة قرطبة، د.ت)، ص١٢٦.

فكان مالك بن أنس محدَّثاً، حافظاً، ثقةً، ثبتاُ، مدافعاً عن السنة النبوية، محامياً عنها، ذاباً عن حماها، فهو كالمجاهد فى سبيل الله، يعد للجهاد ما استطاع من الآلات والعدة والقوة كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾ (١)

وقد ثبت فى الصحيح أن جبريل عليه السلام كان مع حسان بن ثابت رضي الله عنه يؤيده ما دافع عن رسول الله ﷺ فى أشعاره، فكذلك من ذب عن دينه وسنته من بعده إيماناً به وحباً ونصحاً له، ورجاءً أن يكون من الخلف الصالح الذين رجى أن رسول الله ﷺ قال فيهم "يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُوَله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين"(*). والجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد وسبله، وفى الحديث: "أفضل الجهاد كلمة حق"(**).

ب- فضل راوى الحديث :

قال رسول الله ﷺ "نضر الله امرأ سمع كلامى فلم يزد فيه فرب حامل علم إلى من هو أوعى له منه(***) ، فكفى راوى الحديث فضلاً دخوله فى دعوته ﷺ الآنفة "فقيل فى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ... ﴾ (٢)

قيل فيها ليس لأهل الحديث منقبةٌ أشرف من ذلك؛ لأنه لا إمام لهم غير النبى ﷺ" (٣).

---

(١) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

(*) الهيثمى (الحافظ نور الدين علىبن أبى بكر الهيثمى، ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج(١)، (بيروت دار الكتاب العربى، ١٤٠٧هـ)، ص ١٤٠.

(**) ابن عبد البر، التمهيد لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد الحلوى، محمد عبد الكبير البكرى، ج(٢١) (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٣٧٨هـ)، ص ١٤٠.

(***) الأصفهانى، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعى، ج(١) (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ص ٤١.

(٢) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

(٣) النووى، تدريب الراوى، (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٧هـ)، ص ١٧٠.

و يأتى الإمام مالك بن أنس رحمه الله على رأس هؤلاء بلا شك.

"وقال الإمام الشافعى : لولا أهل المحابر لخطب الزنادقة على المنابر" (١).

أى لولا أهل الحديث، "وقال أيضاً: أهل الحديث فى كل زمان كالصحابة فى زمانهم وقال أيضاً: إذا رأيت صاحب حديث فكأنى رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ" (٢).

"وكان الأعمش(*) ﷺ يقول : عليكم بملازمة السنة، وعلموها للأطفال، فإنهم يحفظون على الناس دينهم إذا جاء وقتهم ، وكان وكيع(**) رحمه الله تعالى يقول: عليكم بإتباع الأئمة المجتهدين والمحدثين، فإنهم يكتبون ما لهم وما عليهم بخلاف أهل الأهواء والرأى فإنهم لا يكتبون قط ما عليهم"(٣).

ج - المقصود بعلم الحديث :

قال عز الدين بن جماعة: "علم الحديث هو : علم القوانين يعرف بها أحوال السند والمتن، وموضوعه: السند والمتن، وغايته معرفة الصحيح من غيره"(٤).

وعرَّفه ابن الأكفانى: "علم الحديث الخاص بالرواية: علم يشتمل على نقل أقوال النبى ﷺ ، وأفعاله، وروايتها، وضبطها، وتحرير ألفاظها؛ وعلم الحديث الخاص بالدراية علمٌ يعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها" (٥).

وإذا كنا بصدد الحديث عن المحدث الكبير مالك بن أنس فيكون من تتمة الأمر أى نذكر تعريف "المحدّث"، و "الحافظ". قال ابن سيد الناس: "المحدث فى عصرنا من اشتغل

(١) جمال الدين القاسمى، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق: محمد بهجت البيطار، (القاهرة: مطبعة عيسى البابى الحلبى، ١٣٥٣هـ) ، ص ٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص ٤٩.
(*) هو: سليمان بن مهران، تابعى مشهور، مكثر من الرواية.
(**) هو: وكيع بن الجراح: من كبار أتباع التابعين، وهو شيخ الإمام الشافعى.
(٣) جمال الدين القاسمى، مرجع سابق، ص٤٩.
(٤) المرجع السابق، ص٤٩.
(٥) المرجع السابق، ص٤٩.

بالحديث رواية ودراية، وجمع بين روايته، واطّلع على كثيرٍ من الرواة والروايات فى عصره وتميز فى ذلك حتى عرف فيه حفظه، واشتهر فى ضبطه، فإن توسع فى ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقةً بعد طبقةٍ بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقةٍ أكثر مما يجهله، فهذا هو الحافظ...." (١).

وعند أكثر السلف أن الحافظ مرادف للمحدِّث.

منهج مالك بن أنس فى الحديث :

- تحريه الدقة فى رواية الحديث :

كان مالك بن أنس رحمه الله شديد الدقة فى رواية الحديث .

"قال الشافعى: كان مالك إذا شك فى الحديث طرحه كله.

وقال أحمد بن شعيب النسائى: أمناء الله ﷻ على رسوله ﷺ شعبة بن الحجاج ومالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القطان، قال: والثورى إمام، إلا أنه كان يروى عن الضعفاء، قال: وكذلك ابن المبارك من أجل أهل زمانه إلا أنه يروى عن الضعفاء، قال وما أحد عندى بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس ولا أجل ولا آمن على الحديث منه، ثم شعبة فى الحديث، ثم يحيى بن سعيد القطان، وليس بعد التابعين، آمن من هؤلاء الثلاثة ولا أقل روايةً عن الضعفاء"(٢).

ويذكر الإمام الذهبى" قال بشر بن عمر الزهرانى سألت مالكاً عن رجلٍ فقال هل رأيته فى كتبى قلت لا قال لو كان ثقةً لرأيته فى كتبى .

فهذا القول يعطيك بأنه لا يروى إلا عمن هو عنده ثقة ولا يلزم من ذلك أنه يروى عن كل الثقات ثم لا يلزم مما قال أن كل من روى عنه وهو ثقةٌ عند باقى الحفاظ فقد يخفى عليه من حال شيخه ما يظهر لغيره إلا أنه بكل حالٍ كثيرُ التحرى فى نقد الرجال رحمه الله"(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٩.
(٢) ابن عبد البر، التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والمسانيد، مرجع سابق، ج(١)، ص ٥٢.
(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص ص ٧٢: ٧٤.

ويذكر صاحب الحلية "قال الشافعى: إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك به وقال سفيان: كان مالك ينتقى الرجال ولا يحدث عن كل أحدٍ، قال على: ومالك أمان فيمن حدث عنه من الرجال،كان مالك يقول: لا يؤخذ العلم إلا عن من يعرف ما يقول"(١).

وقال ابن وهب "سمعت مالكاً يقول لقد أدركت بالمدينة أقواماً لو استسقى بهم القطر لسقوا وقد سمعوا من العلم والحديث شيئاً كثيراً وما أخذت عن واحدٍ منهم وذلك أنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد وهذا الشأن يعنى الحديث والفتيا يحتاج إلى رجلٍ معه تقىٌ وورعٍ وصيانة وإتقان وعلم وفهم ويعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدا فى القيامه فأما زهد بلا إتقان ولا معرفةٍ فلا ينتفع به وليس هو بحجةٍ ولا يحمل عنهم العلم"(٢).

ويورد الإمام النووى: "أخذ مالك على تسعمائه شيخ منهم ثلثمائة من التابعين وستمائة من تابعيهم ممن اختاره وارتضى دينه وفقهه وقيامه بحق الرواية وشروطها وخلصت الثقة به وترك الرواية عن أهل دين وصلاح لا يعرفون الرواية"(٣).

ويورد الإمام السخاوى "وكان – أى مالك - أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة وأعرض عن من ليس بثقةٍ فى الحديث. فلم يكن يروى إلا ما صح، ولا يحدث إلا عن ثقة"(٤)، "فلا يأخذ الحديث من ذى هوى مبتدع، ولا من شيخٍ لا يعرف ما يحمل ويحدث به، ولا من سفيهٍ، ولا من كذابٍ"(٥).

ويورد الإمام ابن سعد "قال رجلٌ لمالك: قد سمعت مائة ألف حديث.

فقال مالك: مائة ألف حديث أنت حاطب ليلٍ تجمع القشعة .

---

(١)الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق،ج(٦)، ص ٣٢٢.
(٢) السيوطى، تنوير الحوالك شرح على مُوطأ مالك، ج(١)، (بيروت: المكتبة الثقافية، ١٩٨٤م)، ص٥.
(٣) النووى، تهذيب الأسماء واللغات، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٧٨.
(٤) السخاوى (الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى، ت ٩٠٢هـ)، التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق: أسعد طرابزونى الحسينى، ج(٣)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م)، ص ٤٤٢.
(٥) سهير القلماوى وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، م(٢)، (القاهرة: دار الجيل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٩٩٥م)، ص ١٦٣٠.

فقال: ما القشعة ؟

قال : الحطب يجرعه الإنسان بالليل، فربما أخذ معه الأفعى فتنهشه" (١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله "أنه سُئِل عن الرجل يريد الحديث، فيحدث من يأخذ؟

فقال: بحديث مالك، فقيل له: فإن الرجل يريد الرأى، فبرأى من يأخذ؟ فقال: برأى مالك"(٢).

ويرى الإمام ابن الجوزى "كان -أى مالك- ثقةً حجةً"(٣).

ويشهد له الإمام العجلى بالثبت فى رواية الحديث فيذكر "ويعد الإمام مالك من أدق المحدثين"(٤).

- صدقه فى رواية الحديث :

ورد إلينا الكثير مما يدل على أن مالك بن أنس رحمه الله كان عظيم التحرى للصدق فى رواية الحديث، "يورد الإمام إسحاق بن إبراهيم: إذا اجتمع الثورى ومالك والأوزاعى على أمرٍ فهو سنةٌ وإن لم يكن فيه نصٌ "(٥).

وقال الحارث بن مسكين: "سمعت بعض المحدثين يقول: قد قرأ علينا وكيع فجعل يقول حدثنى الثبت حدثنى الثبت فقلنا: من هو؟ قال مالك. قلت فمعمر فقدم مالكاً إلا أن معمراً أكبر وقال عبد الله بن أحمد قلت لأبى: من أثبت أصحاب الزهرى؟ قال مالك أثبت فى كل شىءٍ"(٦).

---

(١) ابن سعد (الإمام محمد بن سعد بن منيع الهاشمى البصرى)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ج (٥)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ص ٤٦٧.

(٢) على محمد معرض، عادل أحمد عبد الموجود، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٠٣.

(٣) ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر، مصطفى عبد القادر عطا، ج(٩) (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٤٢.

(٤) العجلى (الإمام أحمد بن عبد الله بن صالح أبى الحسن العجلى، ت٢٦١هـ)، تاريخ الثقات، تحقيق: عبد المعطى قلعجى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م)، ص ٤١٧.

(٥) الذهبى، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى، ج(١)، ط(٣)، (القاهرة: دار الفكر العربى، د.ت)، ص ٢٠٩.

(٦) ابن حجر العسقلانى، تهذيب التهذيب، مرجع سابق،ج(١)، ص ٧.

ومما يدل على تحريه الصدق فى رواية الحديث "قال حبيب بن زريق: قلت لمالك ابن أنس لم تكتب عن صالح مولى التوأمة وحزم بن عثمان وعمر مولى غفرة؟ قال: أدركت سبعين تابعياً فى هذا المسجد ما أخذت العلم إلا عن الثقات المأمونين، وعن مالك أنه بلغه أن لقمان الحكيم قيل له: ما بلغ بك ما نرى؟

قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وتركى ما لا يعنينى"(١).

ويورد الإمام أبو حاتم الرازى "مالك بن أنس ثقة، أمام الحجاز، وهو أثبت أصحاب الزهرى، وإذا خالفوا مالكاً من أهل الحجاز حكم لمالك، ومالك نقى الرجال نقى الحديث وهو أنقى حديثاً من الثورى والأوزاعى، وأقوى فى الزهرى من ابن عيينه، وأقل خطأً منه وأقوى من معمر وابن أبى ذئب"(٢).

"وسُئِل رحمه الله تعالى عن الأحاديث يقدم فيها ويؤخر والمعنى فيها واحد فقال أما ما كان من لفظ النبى ﷺ فلا ينبغى للمرء أن يقوله إلا كما جاء. وأما لفظ غيره فإذا كان المعنى واحداً فلا بأس. وقيل له: فحديث رسول الله ﷺ يزيد فيه الواو والألف والمعنى واحدٌ؛ فقال: أرجو أن يكون خفيفاً"(٣).

وقال الحسن بن على:" كنّا عند وهيب بن خالد فحدّث بحديث عن مالك وابن جريج. فقلت لرجل أكتب ابن جريج ودع مالكاً، لأنه كان حيّا. فسمعها وهيب، فقال:تقول دع مالكاً؟ ما نعلم بين شرقها وغربها أحد آمن عندنا من مالك على حديث"(٤).

- **خوفه من رواية الحديث:**

لقد كان الإمام مالك بن أنس محدثاً كبيراً ومع ذلك كان يخاف من رواية الحديث والإكثار منه، وهذا مشتهرٌ عنه: "قال ابن وهب: سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما

(١) الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص ص ٣٢٣: ٣٢٨.
(٢) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٧.
(٣) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٦٩: ٧٠.
(٤) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٦٥.

حدثت بها قط ولا أحدث بها. وقال ابنه: لما دفنا مالكاً دخلنا منزله فأخرجنا كتبه فإذا فيها سبع فناديق من حديث ابن شهاب ظهورها وبطونها ملأى، وعنده فناديق أو صناديق من حديث أهل المدينة فجعل الناس يقرءون ويدعون ويقولون: رحمك الله يا أبا عبد الله؛ لقد جالسناك الدهر الطويل، فما رأيناك ذاكرتنا بشيءٍ مما قرأناه"(١).

"وقال أحمد بن صالح: نظرت فى أصول مالك فوجدتها شبيهاً باثنى عشر ألف حديثٍ. قال بعضهم وهو حديث أهل المدينة فى ذلك الوقت فلم يحدث مالك إلا بثلثها وأخرج ابن أبى أويس سماع مالك من الزهرى، فإذا نحو ثلاثمائة وخمسين حديثاً. وقال الشافعى: قيل لمالك: عند ابن عيينة أحاديث ليست عندك. فقال: إذا أحدث الناس بكل ما سمعت إنى إذاً أحمق. وفى رواية إنى أريد أن أضلهم إذاً"(٢).

ومما يدل على شدة خوفه من رواية الحديث قوله رحمه الله "لقد خرجت منى أحاديث لوددت أنى ضربت بكل حديثٍ منها سوطاً، ولم أحدث بها، وقال عندى أحاديث لو ضرب رأسى بالسوط ما أخرجتها أبداً"(٣).

ونرى : أنه قد يكون السبب فى ذلك أيضاً الخوف من أن يختلط الحديث بالقرآن وهذا أمرٌ مرويٌ عن النبى ﷺ ، حيث إنه نهى عن كتابة الحديث ومن بعده أبو بكر ﷺ وأظن والله أعلم أن هذا اجتهاد من مالك بن أنس ﷺ نسأل الله أن يأجره عليه، ولكن قد جاءت آثار أخرى تدل على استحباب كتابة العلم .

(١) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧٠.
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٧٣: ٧٤.
(٣) - المرجع السابق، ج(١)، ص ٧٤.
- عبد الرحمن الشرقاوى، مرجع سابق، ص ٩١.

• تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ :

كان مالك رحمه الله شديد التعظيم والاحترام لحديث الرسول ﷺ فيذكر "ابن أبى أويس: كان مالك إذا أراد أن يُحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتمكن فى الجلوس بوقار وهيبة ثم حدث.

فقيل له فى ذلك، فقال: أحّب أن أعظم حديث النبى ﷺ ولا أحدّث به إلا على طهارة متمكناً. وكان يكره أن يحدّث فى الطريق وهو قائمٌ أو مستعجلٌ.

فقال: أحب أن يُفَهم ما أحدّث به عن رسول الله ﷺ " (١).

وكان رحمه الله "إذا رفع أحد صوته عنده قال: أغضض من صوتك فإن الله ﷻ يقول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ... ﴾(٢)

فمن رفع صوته عند حديث النبى ﷺ فكأنما رفع صوته فوق رسول ﷺ " (٣).

وكان مالك رحمه الله يرفض أخذ الحديث وهو قائمٌ "قال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصارى قاضى المدينة: مر مالك بن أنس على ابن حازم وهو يحدث فجازه، فقيل له فقال إنى لم أجد موضعاً أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى وعليه وسلم وأنا قائمٌ(٤).

ومما يدل على شدة توقيره واحترامه لحديث الرسول الله ﷺ "قال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجباً؟

---

(١) ابن الجوزى، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٧٨.
(٢) سورة الحجرات : من الآية ٢ .
(٣) ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، مرجع سابق، ج(٩)، ص ٤٣.
(٤) الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣١٨.

فقال: نعم إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ" (١).

- **دفاعه عن الحديث:**

لقد قيض الله تبارك وتعالى لحفظ سنة نبيه ﷺ رجالاً أفذاذاً يقصر اللسان عن ذكر محامدهم ومحاسنهم، هؤلاء الرجال الذين دافعوا عن السنة المطهرة، ودافعوا عنها من صنع الوضاعين وانتحال المفترين، فاستبرئ لدينهم بهذا الدفاع، وهذا الجهاد، رحماك اللهم فالاعترَاف بمآثرهم الحسنة أمرٌ واجبٌ أليسوا هم الذين لولاهم لطالت أيدى أولئك الوضاعين الذين منهم فئةٌ ما دخلت فى دين الله إلا للتشويش، فرد الله كيدهم بتنقيب المحدثين عن خرافاتهم فكشفوا باطلهم فرحم الله تلك الأنفس التى منها إمامنا الحافظ المحدث الفقيه مالك بن أنس، فقد كان مدافعاً كبيراً عن السنة النبوية.

- **معرفة مالك بالرجال:**

لقد رزق الله سبحانه وتعالى مالك معرفة واسعة، وعلماً غزيراً، فإن مما يزيد قدر راوى الحديث ليس فقط أن يكون عارفاً بالمتون حافظاً لها ولكن أيضاً قدر معرفته بالأسانيد، ورجال الحديث- أى رواته- وقد كانت كلتا المعرفتين مجتمعتين فى مالك بن أنس رحمه الله.

وقد شهد بذلك خيارُ الناس وعلماؤهم، ومما يدلنا على ذلك النظر إلى عدد شيوخه وتلاميذه فنجد أنهم يبلغون المئات، علاوةً على أنه كان له درايةٌ واسعةٌ برجال الحديث الشريف، وكفى الإمام مالك شرفاً وتكريماً وصف الإمام الذهبى له بأنه" وقد كان مالك إماماً فى نقد الرجال حافظاً مجرداً متقناً"(٢).

"ويورد الإمام ابن المدينى: كان مالك صحيح الحديث" (٣).

وقال ابن عيينة "ما كان أشد انتقاد مالك للرجال وأعلمه بشأنهم"(٤).

---

(١) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٩٥: ٩٦.
(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٧٥.
(٣) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٤.
(٤) ابن حجر العسقلانى، تهذيب التهذيب، مرجع سابق، ج(١٠)، ص ٦.

مالك الناقد:

النقد هو المقصود من المصطلح الحديثى علم الجرح والتعديل، وسوف نرى فى الفصول القادمة كيف أن فقهاء المالكية قد حثوا طلبة العلم على أهمية مدراسته لأن الهدف الأساسى منه هو حفظ الديانة من النقص والتزييف، فالله سبحانه وتعالى قد بعث محمداً ﷺ للناس كافةً وأنزل عليه القرآن :

﴿...لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)

فكان ﷺ هو المبين لما أراد الله عزوجل مما أنزل فى القرآن وما شرع من أحكام وفرائض وموجبات وآداب ومندوبات، ومكث ﷺ بالمدينة ثلاثاً وعشرين سنةً يبين للناس أمور دينهم فلم يزل على ذلك حتى توفاه الله ﷻ.

فالذى يلزم من ذلك كله: معرفة معانى كتاب الله ﷻ معالم دينه ولا يكون ذلك إلا بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه النجباء الذين شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل رضى الله عنهم أجمعين.

وتعرف الآثار الصحيحة والسقية بنقد العلماء الجهابذة الذين خصَّهم الله عزوجل بهذه الفضيلة ورزقهم هذه المعرفة "وقد قيل لعبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: يعيش لها الجهابذة(٢).

ومن هؤلاء الجهابذة كان مالك بن أنس رحمه الله.

وقد أورد الإمام أبو حاتم الرازى فصلاً فى صحة حديث مالك وعلمه بالآثار "قال ابن خالد: أتينا الحجاز فما سمعنا حديثاً ألا تعرف وتنكر إلا مالك بن أنس. وقال يحيى بن معين: أثبت أصحاب الزهدى مالك، ومالك فى نافع أثبت عندى من عبيد الله بن عمر وأيوب السختيانى. وقال عمرو بن على: أثبت من روى عن الزهرى ممن لا يختلف فيه مالك

(١) سورة النحل : من الآية ٤٤ .
(٢) ابن الصلاح (الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى، ت٦٤٣هـ)، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث، تحقيق عائشة عبد الرحمن، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ص٣.

بن أنس. وقال أحمد بن حنبل: كان مالك بن أنس من أثبت الناس فى الحديث، ولا تبالى أن لا تسأل عن رجلٍ روى عنه مالك بن أنس، ولا سيما مدينى .

وقال يحيى بن معين: أتريد أن تسأل عن رجال مالك؟ كل من حدّث عنه ثقة إلا رجلاً أو رجلين"(١).

ولما كان الدين قد جاءنا عن الله ﷻ ، وعن رسول الله ﷺ بنقل الرواة فقد أوقف مالك بن أنس رحمه الله نفسه على معرفتهم والفحص عنهم والبحث عن أحوالهم فجرَّح من جرَّح، وعدَّل من عدَّل. فتطبيقاً لهذا الواجب الذى أوجبه الله ﷻ على العلماء من تبين الحق للخلف، وتمييز صحيح السنة من سقيمها، اشتهر عن مالك بن أنس أنه كان دقيقاً فى تحمُّل الحديث، وكان يتحرى الدقة فى الرواية مما جعله فى مصاف أولئك الأكابر الذين حفظ الله بهم السنة رضى الله عنهم. وقد كان مالك بن أنس رحمه الله يفعل ذلك حسبةً منه.

وقد شهد الإمام البخارى لمالك بن أنس رحمه الله بالصدق والتثبت فى نقل الأخبار والآثار حيث أورد "أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر(٢).

وقد أنشد السيد أبو المناقب محمد بن حمزة بن إسماعيل الحسينى العلوى(٣).

عليكم بأصحاب الحديث فإنما ... محبتهم فرضٌ لدَى الدين والعقل

رُعاة حديث المصطفى ورواتُه ... لحفظهم الإسناد بالضبط والنقل

وإتنائهم ذكر النبى محمد ... عليه سلام الله فى الكتب بالعقل

فكلُ حديثٍ لم يكن فيه مُسْنِدٌ ... إلى مُسْنِدٍ فالخل وذلك والبقل

وخلاصة القول : هو أن مالك بن أنس رحمه الله كان يقوم بواجبٍ عليه وعلى غيره من العلماء لكى يبين للأمة صحيح السنة من سقيمها، ويبين من يصح أن تؤخذ منه

(١) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج (١)، ص ص ١٣: ١٧.
(٢) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ص ١٨.
(٣) السمعانى، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: ماكس فايسفايلر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١م)، ص٧.

الرواية ومن لا يصح أن تؤخذ منه الرواية، ممن لم تتوفر فيهم شروطُ الضبط أو العدالة التى وضعها العلماء.

فمالك بن أنس كان مؤهلاً للقيام بهذه الوظيفة لما توفر له من الورع والتقوى والحفظ للحديث وإتقانه والتثبت فيه.

- **التعرض للرجال الذين ضعَّفهم مالك :**

كما بينا سابقاً أهمية علم الجرح والتعديل وبيان عمن تؤخذ الرواية، فقد كان لسلف هذه الأمة مجهوداتٌ عظيمةٌ فى بيان هذا الشأن، وبينوا رحمهم الله الشروط التى يجب أن تتوافر فى الراوى لكى يؤخذ منه.

ومن الرجال الذين ضعفَّهم مالك بن أنس رحمه الله[1].

(١) إبراهيم بن أبى يحيى :

قال يحيى بن سعيد القطان سألت مالكاً بن أنس عن إبراهيم بن أبى يحيى أكان ثقةً؟ قال: لا، ولا ثقة فى دينه.

(٢) أبو الحويرث :

قال بشر بن عمر سألت مالكاً عن أبى الحويرث فقال: ليس بثقةٍ.

(٣) أبو جابر البياضىَّ :

وقال بشير بن عمر الزهرانى وسألت مالكاً عن محمد بن عبد الرحمن صاحب سعيد بن المْسَيِّب، يعنى أبا جابر البياضى فقال: ليس بثقة، ولاتأخذنّ عنه شيئاً.

(٤) أصحاب ربيعة :

قال أحمد بن صالح قال مالك بن أنس: كان أصحاب ربيعة أربعةً، عبد الرحمن بن عطاء أضاع نفسه، وكثير بن فرقد تقدم موته، والثالث أخذ فى الأغاليط، قال أحمد يعنى

---

(١) راجع فى ذلك:
- المزّى، مرجع سابق، ج (١٧)، ص ص ٣٨٥: ٣٨٦.
- أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ١٩: ٢٤.

عبد العزيز بن أبى سلمة، كان صاحب حجاج وكلامٍ، وسكت مالك عن الرابع وهو نفسه قال أحمد: ولم يكن بينهم مثل مالك بن أنس.

(٥) ابن سمعان :

قال عبد الرحمن بن القاسم سألت مالكاً عن ابن سمعان فقال: كذاب.

(٦) حرام بن عثمان :

قال بشر بن عمر سألت مالكاً عن حرام بن عثمان فقال: ليس بثقةٍ.

(٧) حسين بن عبد الله بن ضمير :

قال عبد العزيز الاويسى: لما خرج إسماعيل بن أبى أويس إلى حسين بن عبد الله بن ضمير وبلغ مالكاً هجره (المعنى- أن مالك بن أنس لم يرضَ حسيناً) أربعين يوماً. قال أبو محمد هجر، لأنه لم يرضاه.

(٨) شُعْبه مولى ابن عَبَّاس :

وقال بشير بن عمر الزهرانى وسألت مالكاً عن شُعْبة مولى ابن عَبَّاس، فقال: ليس بثقةٍ ولا تأخذنّ عنه شيئاً.

(٩) صالح مولى التَّوأمة :

قال بِشْير بن عُمر الزَّهْرانىٌّ: سألت مالكاً عن صالح مولى التَّوأمة، فقال: ليس بثقةٍ ولا تأخُذنَّ عنه شيئاً.

(١٠) عاصم بن عبيد الله :

قال يحيى بن معين: بلغنا عن مالك أنه قال: عجباً من شعبة هذا الذى ينقى الرجال وهو يحدث عن عاصم بن عبيد الله.

(١١) عطاء :

قيل للإمام مالك رحمه الله "لِمَ لا تكتب عن عطاء قال أردت أن آخذ عنه وأردت أن أنظر إلى سمته وأمره، فأتبعته. أتى منبر النبى ﷺ فمسح الغاشية والدرجة السفلى

يعنى من المنبر فلم أكتب عنه إذاك من فعل العامة والدرجة السفلي والغاشية شيء أصالحه بنو أميه فلما رأيته لا يفرق بين منبر النبى ﷺ ولا غيره ويفعل فعل العامة تركته"(١).

(١٢) هشام بن عروة :

قال يحيى بن سعيد القطان: رأيت مالكاً بن أنس فى النوم فسألته عن هشام بن عروة فقال: أما ما حدث به وهو عندنا فهو أى كأنه يصححه، وما حدث به بعد ما خرج من عندنا- فكأنما يوهنه.

وبعد سرد هذه الجملة من الرواة الذين ضعَّفهم مالك بن أنس رحمه الله، وإنه بالبحث نجد أن مالكاً رحمه الله بالرغم من أنه يضعف هؤلاء الرجال إلا أنه أُثر عنه أنه كان يروى عن بعض الضعفاء "قال عباس الدُّورىُّ عن يحيى بن معين: وقد روى مالك عن عبد الكريم أبى أميه وهو بصرى ضَعِيف.

وقال هو أو غيره عن يحيى بن مَعِين: كُل مَنْ روى عند مالك أبن أنس فهو ثقة إلاَّ عبد الكريم البَصْرىّ أبو أُمية(٢).

فهذا يدل على أنه كان يروى عن الضعفاء؛ "وقد يُقال لِمَ حَدَّث- مالك بن أنس رحمه الله- والأئمة الآخرين عن هؤلاء مع علمه بأنهم لا يُحْتَجّ بهم، يجاب عن ذلك بأجوبةٍ"(٣).

أحدها: أنهم رووها ليعرفوها، وليبينوا ضعفها لئلا يلتبس فى وقتٍ عليهم أو على غيرهم أو يتشككوا فى صحتها.

الثانى: الضعيف يكتب حديثه، ولكن على سبيل الاعتبار والاستشهاد، ولكنه لا يحتج به على انفراده.

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٥٧: ٥٨.
(٢) المزّى، مرجع سابق، ج(١٧)، ص٣٨٦.
(٣) جمال الدين القاسمى، مرجع سابق، ص ص ١١٤: ١١٦.

الثالث: رواية الراوى الضعيف يكون فيها الصحيح والضعيف، فيكتبونها، ثم يميزها أهل الحديث والإتقان بعد ذلك، وذلك سهلٌ عليهم، معروف عندهم، وبهذا احتج سفيان حين نهى عن الرواية عن الكلبى، فقيل له: أنت تروى عنه، فقال: أنا أعلم صدقه من كذبه.

الرابع: أنهم يروون عنهم أحاديث الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، وهذا يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل فيه.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية "قد يكون الرجل عندهم ضعيف لكثرة الغلط فى حديثه، ويكون حديثه الغالب عليه الصحة، فيروون عنه لأجل الاعتبار به، والاعتضاد به فإن تعدد الطرق وكثرتها يقوى بعضها بعضاً، حتى قد يحصل العلم بها، ولو كان الناقلون فجَّاراً أو فسَّاقاً؟ فكيف إذا كانوا علماءً عدولاً، ولكن فى حديثه الغلط؛ وهذا مثل عبد الله بن لهيعة فإنه من أكابر علماء المسلمين، وكان قاضياً بمصر كثير الحديث، ولكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه فوقع فى حديثه غلطٌ كثيرٌ مع أنه الغالب على حديثه الصحة"(١).

وقد أجاب عن ذلك أيضاً الإمام أحمد: "قد أكتب حديث الرجل للاعتبار به، مثل ابن لهيعة، وأما من عُرف منه أنه يتعمد الكذب فلا يُروى عنه شيءٌ" (٢).

وخلاصة ذلك أن مالك بن أنس رحمه الله قد برءت ذمته من الرواية عن الضعفاء للأسباب التى قدمنا، "وقد قال ابن عبد البر أن سفيان الثورى قال: إنى أحب أن أكتب الحديث عن ثلاثة أوجه: حديث أكتبه أريد أن أتخذه ديناً، وحديث رجلٍ أكتبه فأوقفه لا اطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبأ به. وقد قال الأوزاعى تعلم ما لا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به"(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٦.
(٢) المرجع السابق، ص١١٦.
(٣) المرجع السابق، ص١١٦.

مالك يدل على الثقات :

كان مالك بن أنس رحمه الله ربما يرجح بين رجلين ويقول هذا أفضل من ذلك وهذا يبين مسألة أخرى فى منهج مالك بن أنس فى الجرح والتعديل، إذ أنه بهذا الترجيح بين الرجال يدل على الرؤاية عن الأفضل منهما، فيدل تفضيله لرجل على تعديله له وقبول رؤايته ويذكر الدكتور محمد أبو زهرة "كان مالك ثبتاً فى الحديث عالماً بالرجال موثوقاً به فى كل ذلك[١].

فمن هؤلاء الرجال الذين عدَّلهم مالك بن أنس، وأرشد الناس إلى التحديث منهم[٢]

(١) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

قال ابن وهب: قال مالك: لم يكن عندنا أحدٌ بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان قاضياً ولاّه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد فكتبه له، ولم يكن على المدينة أنصارى أميرٌ غير أبى بكر بن حزم، وكان قاضياً .

(٢) أيوب السختيانى :

"قال مالك: رأيت أيوب السختيانى بمكة حجتين فما كتبت عنه ورأيته فى الثالثة قاعداً فى فناء زمزم فكان إذا ذكر النبىﷺ عنده يبكى حتى أرحمه؛ فلما رأيت ذلك كتبت عنه"[٣].

(٢) ابن شهاب :

قال يحيى بن عبد الله بن بكير أخبرنى القاسم قال سمعت مالكاً يقول: بقى ابن شهاب وما له فى الدنيا نظيرٌ، وقال خالد بن نزار سمعت مالكاً يقول: أول من أسند الحديث ابن شهاب.

(١) محمد أبو زهرة، الحديث والمحدثون، (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٣٧٨هـ)، ص ٢٨٨.
(٢) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٢٠: ٢٢.
(٣) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٦٤.

(٤) زيد بن أسلم :

"قال مالك: أتيت زيد بن أسلم فسمعت حديث عمر أنه حمل على فرسٍ فى سبيل الله فاختلفت إليه أياماً أسأله عنه فيحدثنى لعله يدخله فيه شكٌ أو معنى فأترك لأنه كان ممن شغله الزهد عن الحديث"(١).

(٥) عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب :

"قال الأثرم سألت أحمد بن حنبل عن عمرو بن أبى عمرو مولى المطلب فقال يزين أمره عندى أن مالكاً روى عنه، وقال أبو سعيد بن الأعرابى كان يحيى بن معين يوثق الرجل لرواية مالك عنه سئل عن غير واحدٍ فقال ثقةً روى عنه مالك"(٢).

(٦) مخرمة بن بكير بن الأشج :

قال ابن وهب ما ذكر مالك بكير بن الأشج إلا قال: كان من العلماء، قال إسماعيل بن أبى أويس هذا الذى يقول مالك بن أنس حدثنى الثقة من هو: هو مخرمة بن بكير بن الأشج، وكان مالك يقول عنه: كان رجلاً صالحاً.

(٧) موسى بن عقبة :

قال معن بن عيسى: كان مالك بن أنس إذا قيل له: مغازى من نكتب؟

قال: عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنه ثقة.

ولقد كان لمالك رحمه الله فى تعديله وتجريحه للرجال ألفاظٌ خاصةٌ، فتارة يقول عن الراوى فى التعديل أنه "ثقةٌ"، وهذا اللفظ مما اتفق عليه المحدثون وأنه من ألفاظ التعديل بل إنه من أولى مراتب التعديل، قال ابن الصلاح "أما ألفاظ التعديل فعلى مراتب: الأولى قال ابن أبى حاتم فى كتابه "الجرح والتعديل": إذا قيل للواحد إنه ثقةٌ أو متقنٌ فهو ممن يحتج بحديثه"(٣).

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٥٧.
(٢) السيوطى، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، مرجع سابق، ج(١)، ص ٤.
(٣) ابن الصلاح، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، مرجع سابق، ص ٤.

وكذلك كانت له ألفاظٌ أخرى تدل على تعديله للرجال، كأن يقول فلانٌ: رجلٌ صالحٌ أو فلان: ما له فى الدنيا نظيرٌ، أو فلان: أول من أسند الحديث.

وقد ألف كثيرٌ من العلماء فى هذا العلم -علم الجرح والتعديل- كتباً ومصنفاتٍ فمن هذه التصانيف ما أُفرد للضعفاء فقط ككتاب "الضعفاء" للإمام البخارى، و"كتاب الضعفاء" للإمام النسائى، وكتاب "الضعفاء" للإمام العقيلى.

ومنها ما أُفرد للثقات فقط ككتاب "الثقات" لابن حبان البستى، ومنها ما جُمع فيه بين الثقات والضعفاء مثل "تاريخ البخارى"، و"تاريخ ابن أبى خيثمة" و"الجرح والتعديل" لابن أبى حاتم.

ومن الكتب التى صُنِفت فى ذلك أيضاً "الكامل" لابن عدى، و"تاريخ بغداد" للخطيب البغدادى، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر، و"ميزان الاعتدال" للحافظ الذهبى فبينوا "من هو فى الثقة والتثبت كالسارية، ومن هو فى الثقة كالشاب الصحيح الجسم ومن هو لين كمن يوجعه رأسه وهو متماسك يعد من أهل العافية، ومن صفته كمحموم ترجح إلى السلامة، ومن صفته كمريض شبعان من المرض، وآخر كمن سقطت قواه وأشرف على التلف،وهو الذى يسقط حديثه"[1].

مالك يرشد عن الوضاعين :

من مجهودات مالك بن أنس رحمه الله فى الدفاع عن الحديث، أنه كان يبين ما ضعُف من الأحاديث، ويبين ضعف الرواة والداعى إلى جرحهم وفى سبيل ذلك جرح مالك بن أنس رحمه الله أناساً، واتهمهم بالكذب وبين ذلك فى كثير من الروايات.

وقبل أن نوضح ذلك نبين ماهية الحديث الموضوع وخطره، وذلك حتى ندرك ما فعله مالك بن أنس رحمه الله، وما أفاد به الإسلام والمسلمين.

---

(١) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، (القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٩٨٩) ص١٩٩.

الحديث الموضوع "هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه"(١).

وقال ابن الصلاح: "ولا تحل روايته لأحدٍ علم حاله فى أى معنى كان، إلا مقرناً ببيان وضعه"(٢).

وعلى هذا فلا تجوز رواية الحديث الموضوع إلا مع بيان الحال، سواءٌ كان فى الأحكام، أو فى القصص، أو فى الترغيب، أو فى الترهيب، أو غيرها. وذلك لقوله ﷺ "من روى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذبٌ فهو أحد الكذابين"(*).

قال القاضى عياض فى الإكمال "أعلم أن الكذابين على ضربين، ضربٌ عرفوا بذلك فى حديث النبى ﷺ وهم على أنواع: منهم من يضع عليه ما لم يقله أصلاً، إما تراقعاً أو استخفافاً كالزنادقة، وأشباههم، ممن لم يرع لله وقاراً، أو حسبه بزعمهم وتدَّيناً، كجهله المتعبد، الذين وضعوا الأحاديث فى الفضائل والرغائب، وسمعه، كفسقه المحدثين"(٣).

ويُعرف الوضع بطرقٍ عديدةٍ وذكر هذه الطرق يكون فى "علم الحديث" (٤).

وليس مجالها هنا، "وقد قال الربيع بن خثيم: إن للحديث ضوءً كضوء النهار تعرفه وظلمه كظلمةً الليل تنكره، وقال ابن الجوزى: الحديث المنكر يقشعر له جلد طالب العلم وينفر منه قلبه"(٥).

---

(١) السيوطى، تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، تحقيق: عزت على عطية، موسى محمد على، ج(١) (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م)، ص ٣٤٨.

(٢) ابن الصلاح، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٢١٢.

(*)- الروياني (الإمام محمد بن هارون الروياني أبو بكر، ت٣٠٧هـ)، مسند الروياني، تحقيق على أبو يماني، ج(٢) (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٦هـ)، ص ٧٥.

- الجوهرى (الإمام على بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهرى البغدادى، ت٢٣٠هـ)، مسند ابن الجعد تحقيق عامر أحمد حيدر، ج(١)، (بيروت: مؤسسة نادر، ١٩٩٠م)، ص ٤١.

- الطيالسى (الإمام سليمان بن داود أبو داود الفارسى البصرى الطيالسى، ت٢٠٤هـ)، مسند الطيالسى، ج(١) (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ص ٩٤.

(٣) ابن الصلاح، مرجع سابق، تحقيق :عائشة عبد الرحمن، ص٢١٧.

(٤) راجع فى ذلك:

- البلقينى (الإمام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعى، ت٨٠٥هـ)، محاسن الاصطلاح فى تضمين ابن الصلاح، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ص ٩٨.

- شرف الدين على الراجحى، مصطلح الحديث، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣م)، ص ١٠٧.

(٥) جمال الدين القاسمى، مرجع سابق، ص ١٦٥.

ولقد قام العلماء وجهابذة هذه الفن- علم أصول الحديث- بمجهوداتٍ رائعةٍ فى هذا الشأن لكى يبينوا ويوضحوا أثر الأحاديث الموضوعة على الأمة فى كل زمانٍ ومكانٍ، وبينوا أن خطرها يتركز أساساً على من ليس له درايةٌ بعلوم الحديث عامة، وأرجعوا ابتداع المبتدعين إلى أمرين هما: الزيادة فى الدين والنقص منه.

وقد أقام الله من ينفى عن الحديث الشريف تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فبينوا عِوارها.

ولقد كان لمالك بن أنس رحمه الله مجهوداتٌ عظيمةٌ فى كشف أولئك الوضاعين وكانت عدته فى ذلك تقواه لله عز وجل، وعبادته وورعه وعلمه التى نتج عنها بصيرةٌ نافذةٌ نفاذةٌ، وعقلٌ منيرٌ، وكما جاء فى الحديث الصحيح "لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها"(*).

ولقد أرشد مالك بن أنس رحمه الله عن الكثير من الكذابين الوضاعين فمن قوله رحمه الله "لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ من سوى ذلك: لا يؤخذ من سفيهٍ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب فى أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ، ولا من شيخٍ له فضلٌ وصلاحٌ وعبادةٌ، إذا كان لا يعرف ما يحدث" (١).

" وقال جعفر القريابى كان من مذهب مالك التقصى والبحث عمن يحمل عنه العلم ويسمع منه(٢).

(*) ابن رجب الحنبلى (الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى، ت٧٥٠هـ)، جامع العلم والحكم ج (١)، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ)، ص١٨٩.

(١) ابن عبد البر، التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والمسانيد، مرجع سابق، ج(١)، ص ٥٤.

(٢) السيوطى، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، مرجع سابق، ج(١)، ص ٤.

" وقال بشر بن عُمر الزَّهْرانىِّ سألت مالكاً عن رجل، فقال: رأيته فى كُتُبِى؟ قلت:لا قال: لو كان ثقةً لرأيته فى كتبى، وقال علىّ:لا أعلم مالكاً ترك إنساناً إلا إنساناً فى حديثه شيءٍ"(١).

"قدم حماد بن زيد المدينة لم يأته أحدٌ من أصحاب مالك فراح حماد فشكى ذلك إليه. فقال: أنا أمرتهم بذلك .

فقال ولِمَ؟ يا أبا عبد الله؟ قال لأنكم يا أهل العراق تكتبون بالمدينة عمن لا شهادة له عندنا. فيتوهم عليكم أنكم تفعلون هكذا فى بلادكم . فرجع حماد فأسقط عامةَ علمه"(٢)

"قال عبد الله بن إدريس كنت عند مالك فقال له رجلٌ إن محمد بن إسحاق يقول اعرضوا على علم مالك فإنى أنا بيطار، فقال مالك انظروا إلى دجال من الدجاجلة يقول اعرضوا على علم مالك قال ابن إدريس ما رأيت أحداً جمع الدجال قبله"(٣).

وقال أشهب سئل مالك أيؤخذ ممن لا يحفظ وهو ثقةٌ صحيح أتؤخذ عنه الأحاديث قال لا فقيل له يأتى يكتب فيقول قد سمعتها وهو ثقةٌ أتؤخذ عنه الأحاديث قال أخاف أن يزْد فى كتبه بالليل"(٤).

"وقال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: لا تصل خلف القدرية ولا تحمل عنهم الحديث"(٥).

مالك الفقيه :

"نَبغ الإمام مالك فى العلم فى سنٍّ مبكرةٍ، وجلس للناس يعلِّم ويفتى فى زمانٍ كان يُفتى فيه يحيى بن سعيد الأنصارى وربيعةُ بن أبى عبد الرحمن، ونافع مولى ابن عمر وأمثالهم، وهؤلاء من شيوخه"(٦).

---

(١) المزّى، مرجع سابق، ج(١٧)، ص٣٨٥.
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٦٩.
(٣) السيوطى، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، مرجع سابق، ج(١)، ص ٤.
(٤) المرجع السابق، ج(١)، ص ٤٠٣.
(٥) ابن نقطة، مرجع سابق، ص ٤٣٨.
(٦) عبد الغنى الدقر، مرجع سابق، ص٢٢٦.

وقد قال الإمام مالك رحمه الله "ما جلست- يقصد لرواية الحديث والإفتاء- حتى شهد لى سبعون شيخاً من أهل العلم أنى موضعٌ لذلك"(١).

وقد كان رحمه الله "أستاذ الإمام الشافعى رحمه الله وأخذ عنه -يعنى الإمام الشافعى- الفقه"(٢).

وقال ابن المبارك رحمه الله "لو قيل لى أختر للأمة إماماً أخترت لها مالكاً"(٣).

فقد كان رحمه الله "شيخ الأمة"(٤).

وقال عبد الرحمن بن مهدى مالك أفقه من الحكم وحماد.

وقال الشافعى: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز" (٥).

وقد كان الإمام مالك رحمه الله يبدأ بنفسه قبل إفتاء الناس فى مسائلهم فيذكر "إسماعيل بن عبد الله بن أبى أويس: وكان مالك يعمل فى نفسه ما لا يلزمه الناس.

وكان يقول: لا يكون العالم عالماً حتى يعمل فى نفسه بما لا يفتى به الناس، يحتاط لنفسه ما لو تركه لم يكن عليه فيه إثمٌ "(٦).

وكان يقول رحمه الله: "ما تعلمت العلم إلا لنفسى وما تعلمت ليحتاج الناس إلى وكذلك كان الناس" (٧).

ويذكر ابن بكير وغيره أنه أول ما بان من نبوغ الإمام مالك فى الفقه والفتوى "أن رجلاً أوصى عند وفاته قد زوج ابنتيه من ابنى أخيه وقد أخذ مهورهما ومات الرجل

(١) - الذهبى، العبر فى خبر من غبر، مرجع سابق، ج(١)، ص ٢١١.
- محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام فى العلم والفكر والأدب والقيادة، (بيروت: دار الفكر العربى ١٩٩٢م)، ص١١٩.
(٢) عماد الدين إسماعيل أبى الفدا، المختصر فى أخبار البشر، م(١)، (القاهرة: مكتبة المثنى، د.ت)، ص١٤.
(٣) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٦٣.
(٤) السيوطى، طبقات الحفاظ، تحقيق: على محمد عمر، (بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م)، ص ١٠٤.
(٥) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٢.
(٦) ابن سعد، مرجع سابق، ج٥، ص ٤٦٥.
(٧) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٦٦.

فأحضر الوالى الناس، وكان الحسن بن يزيد، وفيهم ابن أبى ذئب وابن عمران وابن أبى سيرة، ومالك وهو حدث وذكر المسألة.

فقال جمعيهم ذلك جائز ومالك ساكت فقال: ما ترى يا مالك؟

قال: ذلك لا يجوز فغضب الجميع وقال ابن أبى ذئب: لا يشاء أن يرد علينا إلا رد فقال الوالى: أصاب وأخطأتم.

ثم قال: من أين قلت يا أبا عبد الله هذا؟

قال: أرأيتم إن هديتنا جميعاً إلى زوجيها فتعلق كل واحدٍ منهما بهودجٍ واحدٍ كل واحدة يقول: هى زوجتى دون الأخرى. لمن تقضون بها؟

فسكت القوم. قالوا: أصاب قال: فما ترى يا أبا عبد الله.

قال: النكاح مفسوخ حتى تسمى كل امرأةٍ لرجلٍ معين"[1].

وما يؤكد تمكنه فى العلم والفقه والإفتاء "قال ابن الماجشون: مما علم به مالك أن سارقاً أخذ ومعه قمح وقد سرقه من تلاليس لهذا وهذا، حتى اجتمع قمحٌ كثيرٌ فاعترف بذلك فأحضر الولى مَنْ بالمدينة وفيهم ربيعه ويحيى بن سعيد ومعهم مالك على حداثة سنه لمعرفتهم بعلمه، فلما أخذوا مجالسهم سألهم الوالى عن المسألة. وأخرج القمح فإذا شبيه فكلهم رأى أن عليه القطع ومالك ساكت. فقال له تكلم.

قال: لا قطع عليه فاستعظم ذلك من هناك. وسألوه من أين قاله؟

فقال لهم: هل يجب القطع إلا فى ربع دينار فصاعداً فأما أن يسرق من هذا التليس ما يساوى درهماً ومن هذا ما يساوى درهماً هكذا فهذا لا قطع عليه. فانصرف الناس وقد بان فضل علمه" [2].

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٥٩: ٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج(١)، ص ٦٠.

وهكذا فقد أخذ هذا الغلام الأصبحى يرتقى فى مراتب الإفتاء والنبوغ "قال الحارث: أوصى ابن هرمز مالكاً وعبد العزيز بن أبى سلمة إذا دخلتما على السلطان فكونا آخر من يتكلم. فلزم مالك وصيته فبلغنى أنه حضر عند الأمير مع ابن أبى ذئب ونظرائه فاستفتاهم فى رجلٍ أقر على نفسه بالقتل عمداً فأفتى كلهم بالقتل إلا أن يعفو الأولياء ومالك ساكت.

فسأله فقال : أنظر وهو مطرقٌ. ثم سأله فقال: هو القتل حتى أنظر. فقالوا: ما تنظر رجلٌ أقر أنه قتل عمداً أى شيءٍ هذا؟

فقال : أين القاتل المقر؟ فإذا فتى حدث السن فقال: منذ كم حُبس، قيل- منذ كذا فإذا حبسه وإقراره قبل أن يحتلم، فسرّح. وهذا والله أعلم أنه أنكر إقراره ورجع عنه[1].

"قال مطرح بن شاكر: جلس ابن شهاب وربيعة ومالك، فألقى ابن شهاب مسألةً فأجاب فيها ربيعةُ، وصمت مالك.

فقال له ابن شهاب: لِمَ لا تجيب قال قد أجاب الأستاذ أو نحوه.

فقال ابن شهاب ما نفترق حتى تجيب.فأجاب بخلاف جواب ربيعة.

فقال ابن شهاب ارجعوا بنا إلى قول مالك"[2].

وهكذا حتى صار الإمام مالك "مقصد المستفتين من أقصى بلاد الإسلام مغرباً ومشرقاً، وأقام على ذلك دهراً وكان فى المدينة هو الرأس، وكان له من علمه، ورفعة ذكره وشهرة اسمه سلطان يمنع به المتعالين أن يفتوا الناس قبل أن يشهد لهم العلماء بذلك خشية أن يتطاول إلى الفتيا من لا يصلح لها فيفسد على الناس دينهم، فلا يجرؤ واحدٌ- ولو كان عالماً- أن يُفتى فى المسجد النبوىّ أو فى المدينة المنورة، ولو بمسألةٍ واحدةٍ، إذا لم يقرَّ له الإمام مالك بعد أن يسأل عنه من بقى من كبار الشيوخ"[3].

---

(١) المرجع السابق، ج(١)، ص ٦٠.
(٢) المرجع السابق، ج(١)، ص ٦٦.
(٣) عبد الغنى الدقر، مرجع سابق، ص٢٢٨.

وهكذا حتى "قال ابن وهب:سمْعتُ منادياً ينادى بالمدينة ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس وابن أبى ذئب"(١).

منهج مالك بن أنس فى الفتيا :

وضع الإمام مالك رحمه الله منهجاً للفتيا أصبح فيما بعد نبراساً لكل علماء عصره ومن تبعهم، ومن قواعد هذا المنهج:

الدقة والتحرى فى الفتيا :

كان الإمام مالك رحمه الله إماماً عظيماً وفقيهاً كبيراً ومع ذلك كان شديد الخوف من الإفتاء والرد على مسائل الطالبين "قال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: إنى لأفكر فى مسألةٍ منذ بضع عشرة سنةً فما اتفق لى فيها رأىٌ إلى الآن"(٢).

"وقال خالد بن خداش: قدمت على مالك بأربعين مسألةً فما أجابنى منها إلا فى خمس مسائل"(٣).

"وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا سُئِل عن المسألة قال للسائل انصرف حتى أنظر فيها: فينصرف ويتردد فيها. فقلنا له فى ذلك، فبكى وقال: إنى أخاف أن يكون لى من السائل يوم وأى يوم.

قال وزاده كان مالك إذا جلس نكس رأسه ويحرك شفتيه بذكر الله ولم يلتفت يميناً ولا شمالاً، وزاده، فإذا سئل عن مسألةٍ تغير لونه وكان أحمر بصفرةٍ فيصفرّ وينكس رأسه ويحرك شفتيه.ثم يقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله فربما يسأل عن خمسين مسألةٍ فلا يجيب منها فى الواحدة"(٤).

---

(١) اليافعى (الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى، ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنات وعبر اليقظان، تحقيق: خليل المنصور، ج(١)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ص ٢٩١.
(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٦٩.
(٣) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص٧٧.
(٤) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٧٠.

"وقال إسماعيل بن أبى أويس كان خالى مالك لا يفتى حتى يقول لا حول ولا قوة إلا بالله"(١)، "وقيل: كان مالك كلما جلس مجلساً، لا ينطق بشيءٍ حتى يقول . قال تعالى :

﴿...سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢)

"ويرى أن سعيداً كلما نسى شئياً، يقول هذه الكلمات فيذكر"(٣).

"وقال بعضهم: لكأنما مالك والله إذا سئل عن مسألةٍ واقف بين الجنة والنار وكان يقول: من أحب أن يجيب عن مسألةٍ فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه فى الآخرة، ثم يجيب. وقال: ما شيءٌ أشد علىّ من أن أُسأل عن مسألةٍ من الحلال والحرام، كأن هذا هو القطع فى حكم الله ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وأحدهم إذا سئل عن مسألةٍ كأن الموت أشرف عليه. ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غداً لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب وعلياً وعلقمةَ خيّار الصحابة كانت تتردد عليهم المسائل وهم خير القرون الذين فيهم النبى ﷺ وكانوا يجمعون أصحاب النبى ﷺ ويسألون حينئذ ثم يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا فبقدر ذلك يفتح لهم فى العلم. قال: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى ولا من سلفنا الذين يُقتدى بهم ويعول الإسلام عليهم أن يقول: هذا حرامٌ وهذا حلالٌ ولكن يقول: أنا أكره كذا وأحب كذا. وأما حلالٌ وحرامٌ فهذا الافتراء على الله، أما سمعت قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ... ﴾(٤)

لأن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرماه"(٥).

---

(١) الذهبى، تذكرة الحفاظ، مرجع سابق، ج(١)، ص ٢١٢.
(٢) سورة البقرة : من الآية ٣٢ .
(٣) بطاش كبرى زاده، مرجع سابق، ج(٢)، ص ص ١٩٨: ١٩٩.
(٤) سورة يونس : من الآية ٥٩ .
(٥) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٧١.

وكان الإمام مالك رحمه الله يقول: "ربما وردت علىّ المسألة فأسهَر فيها عامةَ ليلتى"(١).

"وقال عبد الرحمن العمرى: قال لى مالك ربما وردت على المسألة تمنعنى من الطعام والشراب والنوم فقلت يا أبا عبد الله: ما كلامك عند الناس إلا كنقشٍ فى حجر، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك. قال فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان كذا"(٢).

"وقيل أنه بكى فى مرض موته وقال والله لوددت أنى ضربت فى كل مسألةٍ أفتيت بها ليتنى لم أفت بالرأى(٣).

"وقال معن بن عيسى: سمعت مالكاً يقول:إنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيى فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"(٤).

تبنى شِعارَ "لا أدرى":

"كان هذا شِعارَ مالك، يتعجَّل بقوله " لا أدرى" حين يُسأل ولا تُستكمل لديه أدلة المسألة من جوانبها كلِّها، فيتذرَّع بشِعاره هذا، فإذا وضح لديه الجواب، ولم يبقَ فيه أدنى رَيْب فى نفسه أجاب، وإلاَّ قال: لا أدرى. وكلمة "لا أدرى" ليس كل الناس يستطيعها، وما يستطيعها إلاَّ الأقوياء بالله، الذين يؤثرون رضاه والجنّة ويخشون غضبه والنار، يقول مالك: جُنَّةُ العالم "لا أدرى" إذا أغفلها أصيبت مَقَاتله"(٥).

"قال عبد الرحمن بن مهدى: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر، حملنى أهل بلادى مسألةً أسألك عنها.

قال فسل: قال فسأل الرجل عن أشياءٍ.

---

(١) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٦٩.
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٧٠.
(٣) - ابن خلكان (الإمام أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان، ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، م(٤)، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ص ص ١٣٧: ١٣٨.
- ابن العماد الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)،ص٧٢.
(٤) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٧٢.
(٥) عبد الغنى الدقر، مرجع سابق، ص٢٤١.

فقال: لا أحسن .

قال: فقطع بالرجل وكأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيءٍ .

قال: وأى شيءٍ أقول لأهل بلادى إذا رجعت إليهم ؟

قال: تقول لهم قال مالك بن أنس: لا أحسن"(١).

"وقال الهيثم بن جميل سمعت مالكاً سئل عن ثمانٍ وأربعين مسألةً فأجاب فى أثنتين وثلاثين منها بـ "لا أدرى" وقال ابن هرمز: ينبغى للعالم أن يورث جلساءه قول لا أدرى حتى يكون ذلك أصلاً يفزعون إليه. وقال ابن عبد البر صح عن أبى الدرداء لا أدرى نصف العلم"(٢).

"وقال عمر بن يزيد- شيخ من أهل مصر- صديق لمالك ابن أنس قال: قلت لمالك يا أبا عبد الله يا أبا عبد الله يأتيك ناسٌ من بلدانٍ شتى قد أنضوا مطاياهم، وأنفقوا نفقاتهم، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم تقول لا أدرى!!

فقال: يا عبد الله يأتينى الشامى من شامه، والعراقى من عراقه، والمصرى من مصره، فيسألوننى عن الشىء لعلى أن يبدو لى فيه غير ما أجيب به فإين أجدهم؟ " (٣).

"وقال بعضهم: إذا قلت أنت يا أبا عبد الله لا أدرى فمن يدرى .

قال: ويحك ما عرفتنى؟ وما أنا وأى شيءٍ منزلتى حتى أدرى ما لا تدرون.

ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر، يقول لا أدرى فمن أنا، وإنما أهلك الناس العجب وطلب الرئاسة. وهذا يضمحلّ عن القليل.

وقال مرةً أخرى: قد ابتلى عمر بن الخطاب بهذه الأشياء. فلم يجب فيها.

قال ابن الزبير لا أدرى، وابن عمر لا أدرى وقال مصعب: سئل مالك عن مسألةٍ فقال: لا أدرى.

---

(١) أبو حاتم الرازى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٨٠.
(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٧٧.
(٣) الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣٢٤.

فقال له السائل إنها مسألةٌ خفيفةٌ سهلةٌ، وإنما أردت أن أعلم بها الأميرة وكان السائل ذا قدر فغضب مالك وقال: مسألةٌ خفيفةٌ سهلةٌ ليس فى العلم شيءٌ خفيفٌ أما سمعت قول الله تعالى:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾"(١)

فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة.

"قال بعضهم: ما سمعت قطاً أكثر قولاً من مالك لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو شاء أن تصرف بألواحانا مملوءة بقوله لا أدرى(٢).

كراهة الجدال فى الدين :

"ليس من الجدال فى الدين أن يبحث فى مسألةٍ من الدين يريد بذلك معرفتها بيقين يؤيده الدليل. والجدال المكروه الذي يريد به المجادلُ أن يظهر على من يجادله، ليبدو عالماً قادراً يستثير الحجّة. وقد يكون المجادل فى الدين هو الذى كلّما تخيل فَرْضاً وأقام عليه الدليل تخيل فرضاً أبعد، وأقام عليه الدليل، وهكذا إلى أن ينتهى إلى حالٍ يُرى فيها أنه لم يعد يبحث فى الدين، وإنما فى كلام لا معنى له، بل هو بعيدٌ كل البعد عن مقاصد الدين، وكلا الأمرين لا يُحمد فى الدين صاحبهما"(٣).

"وكان مالك يقول: المراءُ والجدالُ فى العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد. قال ابن وهب: وسمعت مالكاً يقول إذا جاءه أحدٌ من أهل الأهواء أما أنا فعلى بينةٍ من ربى.

وأما أنت فشاك"؛ فاذهب إلى شاكٍ مثلك فخاصمه ثم قرأ :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾"(٤)

---

(١) سورة المزمل : من الآية ٥ .
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٧٢: ٧٣.
(٣) عبد الغنى الدقر، مرجع سابق، ص٢٤٤.
(٤) سورة يوسف : من الآية ١٠٨ ، ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧١.

"قال معن: انصرف مالك يوماً إلى المسجد وهو متكئ على يديه فلحقه رجلٌ يقال له أبو الجويرة يُتَّهَم بالأرجاء.

فقال: يا أبا عبد الله إسمع منى شيئاً أعلمك به وأحاجّك وأخبرك برأى.

فقال: احذر أن أشهد عليك.

قال: والله ما أريد إلا الحق اسمع فإن كان صواباً فقل إنه أو فتكلم.

فقال: فإن غلبتنى. قال اتبعنى.

قال: فإن غلبتك.

قال أتبعك.

قال فإن جاء رجل فكلمناه فغلبنا.

قال: اتبّعناه.

فقال له مالك يا عبد الله: بعث الله محمداً بدينٍ واحدٍ وأدراك تنتقل.

وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل"(١).

"وجاءه رجلٌ من أهل المغرب فقال: إن الأهواء كَثُرت ببلادنا فجعلت على نفسى إن أنا رأيتك أن آخذ بما تأمرنى به. فوصف له مالك رحمه الله شرائع الإسلام: الصلاة والصوم، والزكاة، والحج.

ثم قال: خذ بهذا ولا تخاصم أحداً"(٢). "وقال مالك: كلما جاءنا رجلٌ أجدل من رجلٍ تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجداله"(٣).

"وقال مالك: ليس الجدال فى الدين بشىءٍ"(٤).

" وقال مالك: المراء والجدال فى العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد.

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٨٧

(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص٧١.

(٣) عبد الغنى الدقر، مرجع سابق، ص٢٤٤

(٤) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ، ج(٨)، ص ١٠٨.

وقال: إنه يقسى القلب ويورث الضغن"(١).

"وقال ابن دهب: سمعته- أى مالك- يقول قلت لأمير المؤمنين فيمن يتكلم فى هذه المسائل المعضلة الكلام فيها يا أمير المؤمنين يورث البغضاء"(٢).

"وقال الزهرى: رأيت مالكاً، وقوماً يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال إنما أنتم حربٌ.

قال الهيثم بن جميل قيل لمالك: الرجل له علم بالسنة يجادل عنها؟

قال: لا. ولكن يخبر بالسنة- فإن قُبل منه وإلا سكت.

قال أبو طالب المكى: كان مالك أبعد الناس عن مذاهب المتكلمين وأشدهم بغضاً للعراقيين وإلزامهم لسنة السابقين من الصحابة والتابعين"(٣).

"قال معن بن عيسى: قدم هارون أمير المؤمنين ليحج ومعه أبو يوسف فأتى مالك أمير المؤمنين فقربه وأكرمه فلما جلس أقبل عليه أبو يوسف فسأله عن مسألةً فلم يجبه ثم عاد فسأله فلم يجبه فقال أمير المؤمنين يا أبا عبد الله هذا قاضينا يعقوب يسألك فأقبل عليه مالك فقال يا هذا إذا رأيتنى جلست لأهل الباطل فتعال أجبك معهم"(٤).

أبرز وصايا مالك فى العلم:

أفرد الإمام مالك بن أنس رحمه الله مجموعةً من الوصايا تتعلق بطلب العلم فضلاً عما يخص العالم والمتعلم منها ما يلى:

- **طلب العلم :**

"سُئل رحمه الله عن طلب العلم: أفريضةُ هو؟

قال: لا ولكن يُطلب ما ينتفع به، ولا يطلب الأغاليط والإكثار.

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ٨٧.
(٢) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص ١٠٨.
(٣) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ٨٧.
(٤)الذهبى،تذكرة الحفاظ ، مرجع سابق، ج(١)، ص ٢١٠.

وقال: من إدالة العلم أن تجيب كل من سألك، ولا يكون إماماً من حدث بكل ما سَمِع، ومن إدالة العلم أن تنطق به قبل أن تُسأل عنه.

وقال فى سماع أشهب وابن وهب وابن القاسم: من صدّق فى حديثه مُتّع بعقله، ولم يصبه ما يصيب الناس من الهم والخوف.

وقال: طلب الرزق فى شبهة أحسن من الحاجة إلى الناس"(١).

"قال عبد الله بن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نُورٌ يضعه الله فى القلب.

وقيل لمالك بن أنس: ما تقول فى طلب العلم؟

قال: حَسنٌ جميلٌ، ولكن انظر إلى الذى يلزُمك مِن حين تُصبح إلى حين تمسى فالزمْه"(٢).

"قال القعنبى: سمعت مالك بن أنس يقول: كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنةً يتعلم منه"(٣).

" وقيل له ما أفضل ما يصنع العبد؟ قال: طلب العلم(٤).

- **الوقار والسكينة لطلب العلم :**

"قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: قال عيسى بن مريم عليهما السلام تأتى أمةُ محمدٍ ﷺ علماء حكماء كأنهم من الفقه أنبياء.

قال مالك أراهم صدر هذه الأمة.

قال مالك: وحق على من طلب العلم أن يكون له وقارٌ وسكينةٌ وخشيةٌ، والعلمُ حسنٌ لمن رُزِقَ خيره، وهو قسمٌ من الله فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفق

(١) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص٧١
(٢) ابن الجوزى، صفة الصفوة، مرجع سابق، ج(٢)، ص١٧٩.
(٣) الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣٢٠.
(٤) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ٩٧.

للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذلٌ وإهانةٌ للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه"(١).

- **إعزاز العلم :**

كان الإمام مالك بن أنس رحمه الله من أشد العلماء الفقهاء المحدّثين إعزازاً للعلم "قال عتيق بن يعقوب الزبيدى: قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه إليه البرمكى فقال اقرائه السلام وقل له يحمل إلى الكتاب ويقرؤه على فأتاه البرمكى فقال اقرائه السلام وقل له إن العلم يؤتى ولا يأتى فأتاه البرمكى فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق انك وجهت إلى مالك فى أمر فخالفك اعزم عليه فبينما هو كذلك إذ دخل مالك فسلم وجلس فقال له الرشيد يا ابن أبى عامر ابعث إليك وتخالفنى فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى الزهرى عن خارجه بن زيد عن أبيه قال كنت أكتب الوحى بين يدى رسول الله ﷺ :

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾(٢)

وابن أم مكتوم عند النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى رجلٌ ضريرٌ وقد أنزل الله عليك فى فضل الجهاد ما قد علمت فقال النبى ﷺ "لا أدرى" وقلمى رطب ما جف ثم وقع فخذ النبى ﷺ على فخذى ثم أغمى على النبى ﷺ ثم جلس النبى ﷺ فقال يا زيدٌ اكتب "غير أولى الضرر" ويا أميرَ المؤمنين حرفٌ واحدٌ بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألفَ عامٍ ألا ينبغى لى أن أُعزه وأُجله وإن الله تعالى رفعك وجعلك فى هذا الموضع بعملك فلا تكن أنت أول من يضيع عز العلم فيضيع الله عزك فقام الرشيد يمشى مع مالك إلى منزله ليسمع من الموطأ فأجلسه معه على المنصة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لى تقرؤه على قال ما قرأته على أحد منذ زمان قال فيخرج الناس عنى حتى أقرأه أنا

(١) الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص ٣٢٠.
(٢) سورة يوسف : من الآية ١٠٨ ، ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧١.

عليك فقال إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله تعالى به الخاصة فأمر معن بن عيسى القزاز ليقرأه عليه فلما بدأ ليقرأه قال مالك لهارون يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وأنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل هارون عن المنصة وجلس بين يديه وسمعه"(١).

ومن النص السابق يرسى الإمام مالك رحمه الله فضلاً عن إعزاز للعلم وتقدير العظيم له واحترامه الشديد لمكانته، فقد وضع إحدى مبادئ التعليم التى تكاد تكون قد غابت عن واقعنا التعليمى المعاصر وهى ديمقراطية التعليم وجلوس أولاد الخاصة مع أولاد العامة لتلقى العلم لأنه لا نفع فى علمٍ قُصِرَ على الخاصة.

ومن النصوص الأخرى التى تدل على إعزاز للعلم أيضاً قيل" بعث هارون إلى مالك يستحضر مجلسه، ليسمع منه ابناه الأمين والمأمون .

فقال له: يا أبا عبد الله، ينبغى أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ .

قال: قلت: أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه يعز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتى .

فقال: صدقت: أخرجا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس.

قال مالك: بشريطة ألا يتخطيا رقاب الناس، ويجلسا حيث انتهى بهما المجلس، فحضراه بهذا الشرط"(٢).

- **المعاناة فى طلب العلم :**

"قال ابن وهب عن مالك قال: لا يبلغ أحد ما يريد من هذا العلم حتى يضربه الفقر ويؤثره على كل حاجة(٣).

(١) ابن العماد الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)، ص ص٢٩٠: ٢٩١.
(٢) بطاش كبرى زاده، مرجع سابق، م(٢)، ص١٩٧.
(٣) الأصفهانى، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣٣١.

- **صفة مجلس العلم :**

"قال الفقيه القاضى أبو الفضل عياض رحمة الله عليه .

قال الواقدى : كان مالك يجلس على ضجاج ونمارق مطروحة فى منزله يمينه ويسره لمن يأتى من قريش والأنصار والناس.

وكان مجلسه مجلسَ وقارٍ وعلمٍ، وكان رجلاً مصيباً نبيلاً ليس فى مجلسه شيءٌ من المراء واللغط ولا رفع صوت إذا سئل عن شيءٍ فأجاب سائله لم يقل له من أين رأيت هذا.

وكان الغرباء يسألونه عن الحديث والحديثين فيجيبهم الفينةَ بعد الفينةِ. وقال أبو مصعب وابن الضحاك ومطرف والمهدى وعبد الملك وابن سلمة وغيرواحدٍ من أصحابه كان جلساء مالك كأنما على رؤوسهم الطير تسمّتاً وأدباً، وقال حبيب كان مالك إذا جلس جلسةً لم يتحول عنها حتى يقوم. وقيل كان الثورى فى مجلسه فلما رأى إجلال الناس له وإجلاله للعلم أنشد[1]:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة ... فالسائلون نواكسُ الأذقان

أدبُ الوقار وعن سلطان التقى ... فهو المهيبُ وليس ذا سلطان

وقال الإمام مالك رحمه الله "لا تجلس فى مجلسٍ لا تستفيد منه علماً"[2].

- **ترك الشاذ من العلم :**

"قال عبد الرحمن بن مهدى: لا يكون إماماً فى العلم من أخذ بالشاذ مِن العلم، ولا يكون إماماً فى العلم من يروى من كل أحدٍ، ولا يكون إماماً فى العلم من روى كل ما سَمِع قال: والحفظ والإتقان.

قال أبو عمر: معلوم أن مالكاً كان من أشد الناس تركاً لشذوذ العلم"[3].

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٧٦: ٨٥.
(٢) المرجع السابق، ج(١)، ص٩٧.
(٣) ابن عبد البر، التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والمسانيد، مرجع سابق، ج(١)، ص ٥٣.

ويذكر الإمام جمال الدين القاسمى "قال مالك: شرُّ العلم الغريبُ، وخيرُ العلم الظاهرُ الذى قد رواه الناس"(١).

- **التزام العالم الصمت والوقار**

يذكر الإمام مالك "من آداب العالم أن لا يضحك إلا تبسماً"(٢).

- **أصناف الناس فى العلم**

قال الإمام مالك "الناس فى العلم أربعة: رجلٌ علّم فعمل به فمثله فى كتاب الله قوله:

﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴾(٣)

ورجل علم به ولم يعلمه فمثله فى كتاب الله :

﴿...ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ... ﴾(٤)

ورجل علم علماً وعلمه ولم يعمل به فمثله فى كتاب الله :

﴿...إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ... ﴾(٥)

- **نشر العلم وبذله لأهله :**

قال الإمام مالك "اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلموه ولا تكتموه"(٦).

- **معنى العلم :**

قال الإمام مالك "ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم نورٌ يضعه الله فى القلوب. وقال : العلم نورٌ لا يأنس إلا بقلبٍ تقىٍ خاشعٍ"(٧).

"وقال سفيان: دخلت على مالك فقلت له: إن العلم كثيرٌ.

---

(١) جمال الدين القاسمى، مرجع سابق، ص ١٢٥.
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص١٠٠.
(٣) سورة فاطر : من الآية ٢٨ .
(٤) سورة البقرة : من الآية ١٥٩ .
(٥) سورة الفرقان : من الآية ٤٤ ، المرجع السابق، ج(١)، ص ١٠٠.
(٦) المرجع السابق، ج(١)، ص ص ٩٩: ١٠٠.
(٧) المرجع السابق، ج(١)، ص٩٦.

فقال: العلم شجرةٌ أصلها بمكةَ وأغصانها بالمدينة وأوراقها بالعراق وثمراتها بخراسان"[١].

مؤلفاته:

كتب الإمام مالك بن أنس رحمه الله فى موضوعاتٍ شتى ولم يترك لنا الكثير من هذه المؤلفات نظراً لما قد يكون قد شغله عن التأليف من تحديث وإفتاء. وعلى الرغم من انشغاله هذا فقد ترك لنا من المؤلفات ما كانت عظمته فيما حوته من دُرَرٍ نفيسةٍ ويكفى أنه قام بالتصنيف فى السُنة النبوية حيث إن التصنيف فيها من أعظم الأعمال عند الله تعالى.

ومن مؤلفاته:

(١) المُوَطَّا :

"وهو كتابُ حديثٍ وفقهٍ[٢]."وقد ورد إلينا بروياتٍ متعددةٍ حاول أكثر من فقيهٍ إحصاءها وأشهر التى وردت إلينا رواية يحيى بن يحيى الليثى ثمّ محمد بن الحسن الشيبانى ثم ابن زياد ثم يحيى بن بكير وغيرها. ومن التى وصلتنا ولم تزل مخطوطةً حسب علمنا رواية عبد الله بن وهب ثم ابن القاسم"[٣].

أشهر شروح الموطا:

ذكر الإمام حاجى خليفة أشهر الشروح والمختصرات التى قامت على الموطأ منها[٤]:

(١) المرجع السابق، ج(١)، ص ص ٩٧: ٩٨.
(٢) العجلى، مرجع سابق، ص ٤١٧.
(٣) أبو بكر الطوطوشى، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد تركى، (تونس: دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٠م) ص ٤٢٤.
(٤) حاجى خليفة (الإمام مصطفى بن عبد الله القسطنطى الرومى الحنفى، ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، م(٢)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ص ص ١٩٠٧: ١٩٠٨.

- شرحه أبو محمد عبد الله بن محمد النحوى البطليموسى المتوفى سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.
- شرحه أبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكى المتوفى سنة تسعة وثلاثين ومائتين.
- شرحه الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى وسماه "كشف المغطا فى شرح الموطأ، وله "تنوير الحوالك على موطأ (الإمام) مالك وجرد أحاديثه فى كتابٍ أيضاً، وله كتابٌ آخر وهو المسمى "إسعاف المبطأ فى رجال الموطأ" وتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة.
- صنف الحافظ أبو عمر ابن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبى كتاباً سماه "التفضى بحديث الموطأ، وله كتاب "التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد" وتوفى سنة ثلاثين وستين وأربعمائة.
- اختصره الإمام ابن حزم وسماه "الاستذكار" وقال: هو كتابٌ فى الفقه والحديث ولا أعلم نظيره.
- شرحه أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى وسماه "المنتقى" فى سبع مجلدات وله شرحٌ آخر سماه "الاستيفاء فى شرح الموطأ"، وتوفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة.
- انتقاه ابن رشيق القيروانى، المتوفى سنة ستٍ وخمسين وأربعمائة.
- شرحه القاضى الحافظ أبو بكر محمد بن العربى وسماه "القبس"، وقال: هذا أول كتاب ألف فى شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله إذ بناه مالك رحمه الله على تمهيد الأصول للفروع ونبه فيه على معظم أصول الفقه التى يرجع إليها مسائله وفروعه، وتوفى سنة ست وأربعين وخمسمائة.
- لخصه أبو الحسن على بن محمد بن خلف القابسى وهو المشهور بـ "ملخص الموطأ" مشتمل على خمسمائة وعشرين حديثاً متصل الإسناد واقتصر على رواية

أبى عبد الله عبد الرحمن ابن القاسم المصرى من رواية أبى سعيد سحنون بن سعيد.

- شرحه- يعنى موطأ مالك- خاتمة المحدثين محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقانى المصرى المالكى وألف شرحاً بسيطاً فى ثلاثة مجلدات وتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائة.

شهادة علماء الأمة لموطا الإمام مالك بن أنس :

قال عمرو بن أبى سلمة "ما قرأت كتاب الجامع من موطأ مالك بن أنس إلا أتانى آتٍ فى المنام، فقال لى: هذا كلام رسول الله ﷺ حقاً"(١).

قال أبو زُرعة: "لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التى فى الموطأ أنها صحاح كلها لم يحنث. ولو حلف على حديث غيره كان حانثاً"(٢).

قال القاسمى: "أول من صنف فى الصحيح الإمام مالك رضي الله عنه"(٣). ويقصد تصنيفه للموطأ.

قال الشافعى: "ما فى الأرض كتابٌ أكثر صواباً من الموطّأ "(٤).

(٢) كتاب النجوم، وحساب مدار الزمان، ومنازل القمر :

وذكره الإمام ابن فرحون وقال: "هو كتابٌ جيدٌ مفيدٌ جداً قد اعتمد عليه الناس فى هذا الباب وجعلوه أصلاً"(٥). ويورد الذهبى: "رواه سُحنون عن ابن نافع الصائغ"(٦).

(٢) كتاب السِّيرة :

ذكره الإمام ابن فرحون "من رواية ابن القاسم"(٧).

---

(١) ابن عبد البر، التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والمسانيد، مرجع سابق، ج(١)، ص٦٠.
(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧٣.
(٣) جمال الدين القاسمى، مرجع سابق، ص٨٣.
(٤) ابن تغرى بردى، مرجع سابق، ج(٢)، ص٩٦.
(٥) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧٧.
(٦) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج(٨)، ص٨٨.
(٧) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧٧.

(٤) التفسير لغريب القرآن :

ذكره الإمام ابن فرحون وقال "يرويه عنه خالد بن عبد الرحمن المخزومى"[١].

(٥) كتاب المسائل :

ذكره الزركلى[٢]. وهو مخطوطٌ.

(٦) رسالة فى القدر والرد على القدرية :

ذكرها الإمام القاضى عياض وقال "وهو خيار الكتب فى هذا الباب الدالة على سعة علمه بهذا الشأن"[٣].

(٧) رسالةٌ فى الأقضية:

قال الإمام ابن فرحون "رسالته فى الأقضية: كتب بها إلى بعض القضاة: عشرة أجزاء"[٤].

(٨) رسالة فى الفتوى:

قال الإمام القاضى عياض "رسالةٌ فى الفتوى وهى مشهورةٌ يرويها عنه خالد بن نزلوا ومحمد بن مطرف وهو من كبار أهل المدينة قريناً لمالك يروى عن أبى حازم وزيد بن أسلم وروى عنه الثقات ووثقوه"[٥].

(٩) رسالة إلى الليث :

ذكرها الإمام القاضى عياض وقال: "إنها فى إجماع أهل المدينة رضى الله عنهم أجمعين وهى مشهورةٌ متداولةٌ بين العلماء"[٦].

---

(١) المرجع السابق، ج(١)، ص ٧٧.
(٢) خير الدين الزركلى، الأعلام، ج(٦)، ط(٣)، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م)، ص ١٢٨.
(٣) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص١٠٩.
(٤) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٧٧.
(٥) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص١١٠.
(٦) المرجع السابق، ج(١)، ص١١١.

(١٠) رسالةٌ فى الآداب والمواعظ:

ذكرها الإمام القاضى عياض وقال إنها رسالةٌ إلى "هارون الرشيد، وهذا الكتاب وضعه مالك بن أنس أدباً للناس"[١]. وقد أشار إليها أيضاً ابن النديم[٢].

ولكن كل هذه التصانيف وردت الإشارة عنها فى المصادر الأولية فقط وهى غيرُ موجودٍ، وهنا لم ينفِ الأستاذ أمين الخولى[٣] :

نسبة هذه الكتب إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فيذكر:

"كتابة فى الفلك" النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر" لم يستبعد تأليفه له بدليل أن هذا الفن من العلوم كان موضعَ اهتمامِ العلماء فى عصر مالك حتى شاع أن العلوم ثلاثةٌ: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، وقد تُرجِمت كتبٌ فى النجوم فى حياة الإمام مالك سنة ١٢٥ هـ ولا يبعد أن يكون مالك باعتباره أحد الأئمة المهتمين بالعلم قد اطلع عليه، ومما يشيع على قبول ذلك أن تلميذه الإمام الشافعى كان له نظرٌ فى النجوم، وقد ورد ذكره فى مراجع من اعتمد عليه من المؤلفين فى هذا الفن بعده وإذا ثبت وجود هذا الكتاب بين مأثورات الإمام مالك فإن ذلك يشهد له بأن اهتمامه العلمى لم يقف عند حدود الحديث والفقه، بل تناول علوم عصره وشارك بقلمه فى أهم القضايا العلمية وأحداثها. أما بالنسبة لكتابه المتصل بالقرآن الكريم "التفسير لغريب القرآن" فقد قال الإمام السيوطى فى ذلك: إنه رأى لمالك تفسيراً لطيفاً مسنداً. ولكن كل هذه المؤلفات التى وردت الإشارة عنها وهى غير موجودةٍ قد يكون للعوامل التى تعرضت

(١) المرجع سابق، ج(١)، ص١١٠.
(٢) ابن النديم، مرجع سابق، ص ٢٤٧.
(٣) أشار خير الدين الزركلى فى كتابة "الأعلام" فى ترجمة الإمام مالك بن أنس رحمه الله الجزء السادس، صفحة ١٢٨، أنه للأستاذ: أمين الخولى ترجمة محررة لمالك بن أنس، وهو كتاب مطبوع.

لها البلاد فى أثناء الغزو التترى الجائح الذى أغرق الكتب فى النهر وجعل منها جسراً يعبرون فوقه إلى الشام حتى تحول ماء النهر إلى مداد"[١].

وهذه المؤلفات تشير إلى سعةِ معارف الإمام مالك رحمه الله وعظيم ثقافته ونبوغه وتقدمه فى فنون العلم المختلفة.

وفاته:

توفى الإمام مالك بن أنس رحمه الله سنة تسعٍ وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنةً وقد أجمعت المصادر على ذلك منها ابن الأثير[٢]، عمر رضاكحاله[٣]، الذهبى[٤]، ابن العماء[٥]، ابن الأثير الجزرى[٦]، وابن كثير[٧].

ومما ذكر عند وفاته رحمه الله .

" قال محمد بن إدريس الشافعى: قالت لى عمتى- ونحن بمكة- رأيت فى هذه الليلة عجباً .

فقلت لها وما هو ؟

قالت: رأيت كأن قائلاً يقول مات الليلة أعلم أهل الأرض .

قال الشافعى فحسبنا ذلك فإذا هو يوم مات مالك بن أنس"[٨].

" قال إبراهيم بن أبى يحيى: نمت فرأيت الشمس قد كسفت وقد علت الأرض ظلمةً حتى إن الناس لا ينظر بعضهم إلى بعضٍ .

---

(١) حمزة النشرتى، وآخرون، الإمام الفقيه مالك بن أنس، سلسلة شخصيات إسلامية (٧)، (القاهرة: مطابع الأهرام ٢٠٠١م)، ص ص ٣٧٣: ٣٧٤.

(٢) ابن الأثير (الإمام أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، ت٦٣٠هـ) الكامل فى التاريخ، ج(١٥)، (بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٧٨م)، ص١٠١.

(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص ١٦٨.

(٤) الذهبى، العبر فى خبر من غبر، مرجع سابق، ج(١)، ص٢١٠.

(٥) ابن العماد الحنبلى، مرجع سابق، ج(١)،ص٢٨٩.

(٦) عز الدين بن الأثير الجزرى، اللباب فى تهذيب الأنساب، ج(١)، (بيروت: دار صادر، ١٩٨٠م)، ص٦٨.

(٧) ابن كثير، مرجع سابق، ج(٩)، ص ١٧٤.

(٨) الأصفهانى، ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مرجع سابق، ج(٦)، ص٣٣٠.

فقلت لرجل بجنبى: أقامت القيامة ؟

فقال: ولِمَ لا تقوم، وقد مات عالم الآفاق.

قلت ومن هو قال: مالك. فانتبهت وفزعت فإذا أنا به قد مات"(١).

هذه نبذةٌ يسيرةٌ عن حياة الإمامِ الحافظِ المحدّثِ الفقيهِ مالك بن أنس، الذى قضى حياته فى خدمةِ الحديث الشريف والفقه الإسلامى، علماً، وتعليماً، وعملاً.

وإن الناظر فى سيرة هذا الإمام الكبير ليرى توفيق الله يحيطهُ من كل جانبٍ حيث كان سابقَ أصحابه فى كل شىءٍ، فهو أولهم فى الاشتغال بعلم الجرح والتعديل، وكان أغزرهم روايةً للحديث ليس هنا من يفوقه فى كثرة الأحاديث.

هذا من ناحية روايته للحديث الشريف، أما من ناحية الفقه والفضل والقدر فمالك بن أنس من لا يُبارَى فى ذلك، حيث بذ أقرانه فى ذلك، فليس منهم من يدانيه فى هذا وقد أوردنا فى سيرته هذه شهادة أفضل الأئمة له بذلك.

وأما من ناحية التعليم فهو قد اجتمع له تلاميذ فى كل حَدَبٍ وصوبٍ، وقد أوردنا بعضهم فى هذه الترجمة المتواضعة.

وأما من ناحية جهوده فى الحديث فقد رأينا جهوده فى الكشف عن الرواة الضعيف منهم والقوى، ومن يصلح الراوية عنه، ومن لا يصلح.

فرحم الله مالك بن أنس رحمةً واسعةً فهو حقيق بهذا الدعاء. آمين.

سُحْنُون :

أسمه:

هو الإمام الفقيه الثقة الرحال الزاهد الصادق الورع الدقيق "عبد السلام بن حبيب التنوخى، الملقب بسُحنون، ويكنى أبو سعيد"(٢).

---

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص١٣٤.

(٢) خير الدين الزركلى،مرجع سابق، ج(٤)، ص٥.

الفقيه المالكى المتمكن العالم بأحكام الفقه ووجوه مسائله؛ قاضى قضاة المالكية ورئيس المذهب المعتمد للقضاء فى الدولة على أيامه. شيخ الإسلام فى زمانه، وحامل لواء السنة الشريفة فى أوانه إمام المالكية فى وقته.

مولده وبلدته

ولد الإمام سحنون بمدينة "القيروان، وأصله شامى، من حمص"(١)، " وولد فى شهر رمضان سنة ستين ومائة"(٢).

رحلته فى طلب العلم:

أدرك علماء العرب قديماً فائدة التنوع فى العلم ومصادر المعرفة وأهمية تلقى صنوف المعارف على أيدى وفرةٍ من العلماء، فمن هذا المنطلق نجد الإمام سُحنون قد تنقل بين العديد من الأقطار الإسلامية لطلب العلم والتبحر فى علوم الحديث الشريف والفقه اعتقاداً منه رحمه الله أن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً.

فرحل الإمام سُحنون إلى "إفريقية وسمع فيها من كبار علمائها فى هذا العصر فسمع من على بن زياد والعباس بن أشرس، ورحل إلى المشرق فسمع من ابن القاسم، وابن وهب، ورحل إلى المدينة فسمع من ابن نافع ومعن بن عيسى، ورحل إلى الشام فسمع من الوليد بن مسلم، ورحل إلى مكة فسمع من ابن عيينة ووكيع بن الجراح، وحفص بن غياث وعبد الرحمن بن مهدى، ورحل إلى مصر، وتونس" (٣).

ثناء العلماء عليه:

نال الإمامُ سحنونُ شهاداتٍ رائعةً صادرةً عن أئمةٍ عدولٍ لهم قدومٌ راسخةٌ فى علوم الحديث الشريف والشريعة الإسلامية وفنون المعرفة المختلفة شهدوا للإمام سحنون

---

(١) المرجع السابق، ج(٤)، ص ٥.

(٢) البغدادى (المؤرخ إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادى، هدية العارفين عن أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، تحقيق: محمد شرف الدين، رفعت بيلكه الكليسى، م(٥)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م)، ص ٥٦٩.

(٣) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٤٠.

بالإمامة والثقة والرسوخ فى أنواع المعارف المتعددة وبأن تصانيفه قد بلغت الغاية فى الجودة والإتقان.

ومما يدل على غزارة حفظه وموسوعية علمه ما ذكر: الإمام البستى "الإمام سحنون روى عن مالك أكثر من ثلاثين ألفَ مسألةٍ وكان يفرع على مذهبه وهو الذى أظهر علم مالك" (١).

ويذكر ابن ناجى "سحنون الفقيه البارع والورع الصادق الذى اجتمعت فيه الصرامة فى الحق والزهد فى الدنيا والتخشن فى الملبس والمطعم الذى لا يقبل من أحد شيئاً ولا يهاب الملوك شديد على أهل البدع انتشرت إمامته وأجمع أهل عصر: على تقدمه وفضله رقيق القلب ظاهر الخشوع متواضعاً قليل التصنع كريم الأخلاق حسن الأدب" (٢). وهذا يدل على شدة ورعة وتقواه.

ويصفه ابن خلكان: "لُقِّب – رحمه الله- باسم طائر حديد بالمغرب يسمونه سحنوناً لحدة ذهنه وذكائه"(٣).

وهذا يدل على رجاحة عقله ورأيه الصائب وتمتعه بالنقد الثاقب.

ويذكر: الإمام الذهبى بأنه "مفتى القيروان وقاضيها"(٤). وهذا يدل على سبقه لعلماء عصر: وبذه لأقرانه من أهل العلم والصلاح.

"قال جمد يس: لقيت أناساً بالمدينة وبمصر وبغداد من أصحاب مالك والله ما رأيت فيهم مثل سُحنون علماً وعملاً. وقال يونس بن عبد الأعلى: هو سيد أهل المغرب فقال له حمديس يروى تسعةً وعشرين سماعاً وما رأيت فى الفقه مثله فى المشرق. وقال محمد بن حارث: كان مذهب مالك بافريقية قبل سحنون والعمل به قليل ولما قدم

(١) ابن حبان (الإمام محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البستى، ت ٣٥٤هـ)، كتاب الثقات، م(٨)، (بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٨٢م)، ص ٨٩٩.
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٣٤١: ٣٤٣.
(٣) ابن خلكان، مرجع سابق، ج(٣)، ص١٨٢.
(٤) الذهبى، العبر فى خبر من غبر، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٤٠.

سحنون انتشر وجمع مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض فبارك الله فيه للمسلمين فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب وصار زمانه كله مبتدأ وكان سراج القيروان"[١].

وذكره خير الدين الزركلى بأنه "القاضى الفقيه الذى انتهت إليه رياسة العلم فى المغرب"[٢].

شيوخه:

لقد كان السلف الصالح ومنهم الإمام سحنون يتلقون العلم من أفواه العلماء مباشرةً فلا شك لدينا أن رحلات الإمام سحنون وتطوافه قد ترك بصماتٍ واضحةً على تنوع ووفرة شيوخه رحمه الله. فمن شيوخه[٣]:

١- ابن القاسم.
٢- ابن الماجشون.
٣- ابن رشد.
٤- ابن عبد الحكم.
٥- ابن نافع.
٦- ابن وهب
٧- أبو إسحاق الأزرق.
٨- أبو داود الطيالسى.
٩- أشهب.
١٠- أنس بن عياض.
١١- أيوب بن سعد.
١٢- البهلول.
١٣- حفص بن غياث.
١٤- سفيان بن عيينة.
١٥- شعيب بن الليث.
١٦- العباس بن أشرس.
١٧- عبد الرحمن بن مهدى.
١٨- عبد الله بن غانم.

(١) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٣٤١: ٣٤٣.
(٢) خير الدين الزركلى، المرجع السابق، ج(٤)، ص٥.
(٣) راجع فى ذلك:
- ابن العماد الحنبلى، مرجع سابق، ج(٣)، ص ١٨٢.
- عمر رضا كحاله، مرجع سابق، ج(٥)، ص ٢٢٤.
- القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٤٠.

١٩- على بن زياد.
٢٠- معاوية الصمادحى.
٢١- معن بن عيسى.
٢٢- وكيع بن الجراح.
٢٣- الوليد بن مسلم.
٢٤- يحيى بن سليمان.
٢٥- يزيد بن هارون.
٢٦- يزيد بن هارون.
٢٧- يوسف بن عمر.

تلاميذه:

لقد تتلمذ على يد هذا الحَبر الجليل لفيفٌ من علماء وفقهاء المسلمين فيروى ابن خلكان: "حصل له من الأصحاب والتلاميذ ما لم يحصل لأحدٍ من أصحاب مالك مثله وعنه انتشر علم مالك بالمغرب"(١).

ويذكر أبو الحسن الأندلسى: "يقال إنه ما بُورِكَ لأحدٍ، بعد أصحاب رسول الله ﷺ ما بُورك لسحنون فى أصحابه؛ فإنهم كانوا أئمّةً بكلّ بلدة"(٢).

ويذكر الإمام عياض: "قال ابن حارث: سمعتهم يقولون: كان سُحنون من أيمن العلماء؟ دخل المغرب، كأن أصحابه مصابيح، فى كل بلدةٍ، عُدّ له نحو سبعمائة رجلٍ ظهروا بصحبته وانتفعوا بمجالسه"(٣).

ومع ذلك فقد ضنت علينا كتب الرجال والترَاجم عن ذلك أسماء تلاميذ هذا الإمام الكبير رغم كثرتهم واشتهارهم بالعلم والفقه.

مؤلفاته:

ترك لنا الإمام الحافظ سحنون العديد من التصنيفات التى أثرت المكتبة الإسلامية بخاصة فى مجال الفقه الإسلامى المالكى بالكثيرِ من كتب التراث فمن مؤلفاته رحمهَ اللّهُ

(١) ابن خلكان، مرجع سابق، ج(٣)، ص١٨٢.
(٢) الأندلسى (الشيخ أبى الحسن بن عبد الله بن عبد الحسن النباهى المالقى الأندلسى)، المرقبة العليا فيما يستحق القضاء والفتيا، سلسلة تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربى، ط(٥)، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م)، ص ٢٩.
(٣) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص ص ٣٥٥: ٣٥٦.

(١) المدونة :

اتفقت جميعُ كتبِ الرجالِ والترَاجمِ على أن "الإمام" سُحنون هو صاحب المدونة فقد صنف- رحمه الله- كتاب المدونة فى مذهب الإمام مالك ﷺ ، وأخذها عن ابن القاسم، وكان أول من شرع فى تصنيف المدونة أسد بن الفرات الفقيه المالكى بعد رجوعه من العراق وأصلها أسئلة سأل عنها ابن القاسم فأجابه عنها، وجاء بها أسد إلى القيروان وكتبها عنه سحنون، وكانت تسمى "الأسدية"، ثم رحل بها سحنون إلى ابن القاسم فى سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، فعرضها عليه، وأصلح فيها مسائل، ورجع بها إلى القيروان فى سنة إحدى وتسعين ومائة، وهى فى التأليف على ما جمعه أسد بن الفرات أولاً غير مرتبة المسائل ولا موسمة التراجم، ورتب سحنون أكثرها وبوبه على ترتيب التصانيف واحتج لبعض مسائلها بالآثار من روايته من موطأ ابن وهب"[١].

"ورجع بها إلى بلاد المغرب، وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يعرض نسخته على نسخة سحنون، ويصلح ما بها فلم يقبل، فدعى عليه ابن القاسم فلم ينتفع به ولا بكتابه، وصارت الرحلة إلى سحنون، وانتشرت عنه المدونة وساد أهل ذلك الزمان"[٢].

(٢) آداب المعلمين :

وهو من التصانيف القّيمة التى أضافت الكثير إلى تراثنا التربوى نظراً لمعالجته للعديد من مسائل التربية والتعليم وعرضها بأسلوبٍ فقهىٍّ فأصبح مرجعاً أصيلاً وأولياً للكثير من الباحثين التربويين المعاصرين، وهو مخطوطٌ قام بتحقيقه جملة من العلماء والباحثين.

(١) ابن خلكان، مرجع سابق، ج(٣)، ص١٨١.
(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ج(٩)، ص ٣٢٣.

وفاته :

توفى الإمام سُحنون فى "يوم الثلاثاء لتسعٍ خَلَونَ من رجب سنة أربعين ومائتين"(١).

وقد اتفقت جميع المصادر على سنة وفاته رحمه الله. وكان سنه يوم وفاته "ثمانون سنة"(٢).

فهذه لمحةٌ عن سيرة هذا الإمام الذى عاش للعلم والحق والخير، وترك أعظم الأثر فى معاصريه وأقرانه وتلاميذه، وفى العصر الذى عاش فيه، وفى العصور التى أتت من بعده.

فقد كانت حياته حافلةً بطلب العلم والذب عن سنةِ رسول الله ﷺ وتبوأ لأرفع المناصب العلمية والدينية والترحال فى طلب العلم من أقصى الأقطار الإسلامية إلى أقصاها.

فنسأل الله أن يكون قد وفقنا فى بيان مآثره ومناقبه وما خلفه لنا من مصنفاتٍ ينتفع بها الباحثون فى كل زمان ومكان.

ابن الحاج :

اسمه :

هو الإمام الحافظ الثقة الزاهد الورع "محمد بن محمد بن محمد العبدرى، الفاسى الشهير بابن الحاج، وكنيته أبو عبد الله"(٣).

حافظ مذكورٌ ومصنفٌ مشهورٌ .

مولده وبلدته:

"وُلِدَ بمدينة فاس وهى بلدةٌ بالمغرب فى أقصاه تقارب سَبْتَه. تقع اليوم على مضيق جبل طارق فى المملكة المغربية مقابلة لمدينة طنجة، وهى مدينةٌ عظيمةٌ سكنها الصالحون

(١) ابن خلكان، مرجع سابق، ج(٣)، ص ١٨٢.
(٢) القاضى عياض، مرجع سابق، ج(١)، ص٣٦٢.
(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.

وعامتهم حملة القرآن على مذهب مالك بن أنس وهى على طرف الأندلس وكان منهم جماعةٌ من أهل العلم"[١].

وقد أُخْتُلِفَ فى مولده بين المؤرخين، فذهب قومُ إلى أنَّ ميلادَه كان "بعد الأربعين وست مائة"[٢]. ولم يؤكد عليه.

وسكت آخرون عن سنة ميلاده، وغيرهم كعمر رضا كحالة[٣]، وخير الدين الزركلى[٤]، وابن فرحون[٥].

وإذا أردنا أن نحقق هذه المسألة، فإذا علمنا أنه توفى وعنده بضع وثمانين سنة[٦] فعلى هذا يكون مولده بين عامى ٦٥٥هـ، ٦٥٨هـ .

رحلته فى طلب العلم :

سار الحافظ الفقيه أبو عبد الله بن الحاج على سيرة أقرانه فى طلب العلم فرحل إلى البلدان وجاب الأقطار الإسلامية شرقها وغربها لينهل من معين السنة النبوية من أفواه كبار حفاظ عصره وعلمائه فرحل إلى "مصر"[٧]، "وقدم القاهرة، وسمع بها الحديث وحدث بها"[٨]، "وسمع بالمغرب من بعض شيوخه"[٩].

وقد اهتدى ابن الحاج رحمه الله فى رحلته فى طلب العلم بقول النبى ﷺ "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها

(١) - السمعانى، الأنساب، مرجع سابق، ج(٤)، ص٣٣٨.
- ابن الأثير الجزرى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٤٠٧.
(٢) السلامى (الإمام تقى الدين أبى المعالى محمد بن رافع السلامى، ت٧٧٤هـ)، الوفيات، تحقيق: صالح مهدى عباس بشار عواد معروف، م١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م)، ص١٥٥.
(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.
(٤) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٢٦٤.
(٥) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٢١.
(٦) السلامى، مرجع سابق، م(١)، ص١٥٥.
(٧) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.
(٨) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٢٢.
(٩) المرجع السابق، ج(٢)، ص ٣٢١.

لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء"(*).

ولقد كانت الحياة العلمية فى ذلك العصر زاخرةً بشتى العلوم الدينية منها والدنيوية، وقد جمع ابن الحاج فى علمه بين علوم الشريعة المختلفة كالفقه والحديث وبين علوم العربية والآداب. حتى أصبح من كبار علماء عصره خاصةً فى رواية السنة النبوية وعلوم الفقه والشريعة فتتلمذ على يديه خلقٌ كثيرٌ وأصبحوا فيما بعد من كبار علماء الأمة الإسلامية.

مؤلفاته:ترك لنا الإمام العالم العامل ابن الحاج العديد من التأليف النافعة المفيدة منها:

(١) المدخل:

يسمى "المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثيرٍ من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة"(١).

ويذكر الإمام ابن حجر فى فضل هذا المصنَّف "هو كثيرُ الفوائد كشف فيه عن معائبَ وبدعٍ يفعلها الناس ويتساهلون فيها وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل أوله الحمد لله المنفرد بالدوام الباقى بعد فناء الأنام"(٢).

وقد "حدث به"(٣). رحمه الله.

ويذكر الإمام ابن فرحون "هو كتابٌ حفيلٌ جمع فيه علماً غزيراً. والاهتمام بالوقوف عليه متعين"(٤). وذكر فيه رحمه الله "أن شيخه أبا محمد عبد الله بن جبر؛ أشار إلى تعليم تعليم الناس مقاصدهم فى أعمالهم فكتبه وسماه المدخل"(٥).

(*) الطبرانى (الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى، ت٣٦٠هـ)، مسند الشاميين، تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى، ج(٢)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م)، ص ٢٢٤.

(١) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.

(٢) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٤٣.

(٣) السلامى، مرجع سابق، ج(١١)، ص ١٥٥.

(٤) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٢٢.

(٥) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٤٣.

وقد أجاز رحمه الله "لمن أدرك حياته"[١]. وفرغ ابن الحاج رحمه الله من تصنيفه "فى سابع محرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، واختصره البيهقى"[٢].

(٢) بلوغ القصد والمنى فى خواص أسماء الله الحسنى

وقد أشار إليه خير الدين الزركلى[٣].

(٣) الأزهار الطيبة النشر

وقد أشار إليه عمر رضا كحالة[٤].

(٤) شموع الأنوار وكنوز الأسرار فى علوم الحروف وروحانيته.

وقد أشار إليه البغدادى[٥].

ونرى أن الثلاثة مؤلفات الأخيرة هى مخطوطات لم تطبع حتى الآن وهذا على حد علمنا والله تعالى أعلم.

وإذا نظرنا إلى كتب ابن الحاج تبين أنه سار على درب القدماء من العلماء والفقهاء عند تصنيفه لهذه المؤلفات.

ثناء العلماء عليه :

نال الإمام ابن الحاج رحمه الله ثناء الكثير من علماء عصره ومن أتى بعده من المؤرخين وذلك لأن حياته كانت مليئةً بالأحداث وكان مشتهراً بين الناس بعلمه وفضله.

قال عنه رافع السلامى "وكان أحَدَ المشايخ المشهورين بالصلاح"[٦].

وقال عنه ابن فرحون كان "من عباد الله الصالحين، العلماء العاملين، فقيهاً عارفاً بمذهب؛ مالك"[٧].

---

(١) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٢٢.
(٢) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٤٣.
(٣) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٢٦٤.
(٤) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.
(٥) البغدادى، مرجع سابق، ج(٦)، ص ١٤٩.
(٦) السلامى، مرجع سابق، ج(١)، ص ١٥٥.
(٧) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣٢١.

ويذكر خير الدين الزركلى كان رحمه الله "فقيهاً فاضلاً"(١).

وقال ابن فرحون "أحد مشايخ الزهد، والخير، والصلاح. صحب جماعة من الصلحاء أرباب القلوب، وتخلق بأخلاقهم، وأخذ عنهم الطريقة"(٢).

وقد كان رحمه الله "عالماً مشاركاً فى بعض العلوم"(٣).

شيوخه:

أدرك الإمام ابن الحاج رحمه الله كثيراً من العلماء فسمع منهم وروى عنهم، وكان يطوف البلدان فى طلب الحديث والفقه والعلوم، وانتقاء ما صحّ منه، فإذا تتبعنا شيوخه الذين تلقى عنهم العلم لوجدنا منهم المصرى، الفاسى، المغربى، البصرى وغيرهم كثيرٌ من مختلف الأقطار الإسلامية فمن شيوخه:

١- "أبو القاسم عُبَيْد بن محمد بن عباس الإسْعِرْدِى"(٤).

٢- "أبو محمد بن أبى حمزة"(٥).

ويذكر الصفدى "أنه صَحبَ جماعةً من الزُّهاد، وأرباب القلوب"(٦) ولكنه لم يذكر أسماءهم.

أسماءهم.

تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام ابن الحاج رحمه الله خلقٌ كثيرٌ وروى عنه الفِئَامُ من الناس تلاميذُ من كل حَدبٍ وصوبٍ، قَدِمُوا من بلادهم يطلبون العلم على يد هذا الحَبْر الجليل وِعَاء العلم، وحافظ عصره، فمن تلاميذه(٧).

١- أبو الحسن على بن محمد بن الهَمَذانى ت ٧٣٤هـ.

---

(١) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٢٦٤.
(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣٢٢.
(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.
(٤) السلامى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٥٤.
(٥) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٢١.
(٦) السلامى، مرجع سابق، ج(١)، ص١٥٥.
(٧) المرجع السابق، ج(١)، ص ١٥٥.

٢- أبو حفص عمر بن محمد الدَّمَنْهُورِى ت٧٥٢هـ.

وفاته:

توفى الإمام ابن الحاج سنة "سبع وثلاثين وسبعمائة"(١). وقد أجمعت المصادر على سنة وفاته.

ويذكر رافع السلامى أنه توفى "بمصرَ، وصُلِّى عليه من الغد بالقَرافةِ، وكان يوماً مشهوداً"(٢)، "عن نحو ٨٠ عاماً"(٣).

وبأنه "كُفَّ بصرهُ فى آخر عمره"(٤).

خليل :

اسمه:

هو الإمام الحافظ الفقيه "خليل بن إسحاق بن موسى، وكنيته ضياء الدين الجندى"(٥). الإمام "العالم العامل الثاقب الذهن الأصيل البحث المحقق المشارك فى فنون فنون اللغة العربية والحديث والفرائض، الفضل فى مذهب الإمام مالك الزاهد صحيحَ النقل تخرج بين يديه جماعةٌ من الفقهاء الفضلاء"(٦).

مولده وبلدته:

ولد الإمام الشيخ ضياء الدين الجندى فى "مدينة القاهرة حيث تولى الإفتاء على مذهب الإمام مالك"(٧).

(١) الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق: هلمون رينز، ج(١)، ط(٢)، (فيسبان دار النشر فرانز شتايز، ١٩٦٢م)، ص ٢٣٧.
(٢) السلامى، مرجع سابق، ج(٢)، ص١٥٥.
(٣) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٢٦٤.
(٤) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٨٤.
(٥) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٣١٥.
(٦) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٧) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣١٥.

ولم تذكر لنا المصادر الأولية لكتب الرجال والترجم شيئاً عن سنة ميلاده فقد سكت عن ذكرها خير الدين الزركلى[١]، وعمر رضا كحاله[٢]، وحاجى خليفه[٣]، وابن فرحون[٤] فرحون[٤]

ثناء العلماء عليه:

نال الإمام ضياء الدين الجندى ثناء الكثير من علماء عصره ومن أتى بعدهم من المؤرخين وذلك لأنه كان مشتهراً بين الناس بعلمه وفضله.

وصفه الإمام ابن فرحون بالإمام العالم العامل "كان- رحمه الله- صدراً فى علماء القاهرة، مجمعاً على فضله وديانته، أستاذاً مُمتِعاً من أهل التحقيق ثاقبَ الذهن أصيل البحث، فضلاً فى مذهب مالك، صحيحَ النقل، الزاهد المتقشف، ذا الدين والفضل، جمع بين العلم والعمل، وأقبل على نشر العلم، فنفع الله به المسلمين[٥].

ووصف بموسوعة العلم فهو "الإمام الفقيه المشارك فى علوم العربية والفرائض والأصول والجدل"[٦].

ووصف بوعاء العلم والفقه والتبحر فى المذهب المالكى فقد "تولى الإفتاء على المذهب المالكى"[٧].

مؤلفاته: ترك لنا الإمام ضياء الدين الجندى العديد من المؤلفات فمن تصنيفاته رحمه الله:

(١) المختصر فى فروع الفقه المالكى[٨]:

---

(١) المرجع السابق، ج(٢)، ص ٣١٥.
(٢) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٣)، ص٣١٣.
(٣) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٨٥٥.
(٤) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٥) المرجع السابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٦) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٣)، ص ٣١٣.
(٧) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣١٥.
(٨) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٢٨.

"وقد اختصره من جامع الأمهات لابن الحاجب، وبقى فى تأليفه نيفاً وعشرين سنةً، ولخّصه فى حياته إلى (باب النكاح)، وجمع أصحابه باقية من المسودة. وحوى المختصر أربعمائة ألف مسألةٍ فقهيةٍ، وصار من أنفس وأعظم كتب المذهب منذ القرن الثامن الهجرى، وأثنى عليه العلماء؛ فقال الشيخ العدوى الصعيدى: (إن الاشتغال به أنفع من المدونة الآن)، وأضحى حجة المالكيين، حيث وعى وجمع أقوال علماء المذهب وشمل جميع أحكامه. وإن فيه كثيراً من التردد فى النقول بغير بتٍ فى الحكم، وذكر الخلاف بدون ترجيح فلم يكن ذلك قصوراً من الإمام خليل- كلا وألف كلا- بل كان منه- رحمه الله استنهاضاً للهمم وإحالةً على النظر والبحث تدريباً لطلاب الفقه على التحقيق والترجيح وتظهر مرتبته هو فى التخريج والترجيح فى كتابه (التوضيح). هذا ولم يخدم كتاب فى المذهب بمثل ما خدم به مختصر خليل، حيث أقبل عليه العلماء فشرحوه وحشوا عليه حتى زُدت هذه وتلك على مائة شرحٍ وحاشيةٍ"[١].

(٢) شرح جامع الأمهات[٢].

وقد "وضع الله عليه القبول وعكف الناس على تحصيله ومطالعته وسماه التوضيح"[٣]، و"جامع الأمهات"للإمام ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبى بكر ت ٦٤٦هـ"[٤].

(٣) مناسك الحج[٥].

(٤) "محذرات الفهوم فيما يتعلق بالترُجم والعلوم"[٦].

(٥) " شرح على المدونة"[٧].

---

(١) حمدى عبد المنعم شلبى، مرجع سابق، ص ٨٩.
(٢) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٣)، ص٣١٣.
(٤) حمدى عبد المنعم شلبى، مرجع سابق، ص ٨٧.
(٥) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٦) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣١٥.
(٧) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٣)، ص٣١٣.

ولم يكمل إلى أواخر الزكاة.

(٦) "شرح على ألفيه ابن مالك"[١].

(٧) "مناقب الشيخ عبد الله المنوفى" [٢].

ومن خلال العرض السابق لمؤلفات الإمام ضياء الدين نتبين أنه رحمه الله قد أخذ فى التأليف والتصنيف منذ عهدٍ مبكرٍ من حياته ويدلنا على ذلك تصنيفاته المفيدة ومؤلفاته الجليلة فبنظرةٍ سريعةٍ إلى مؤلفاته سنجد منها الحديثية والفقهية والأدبية فكان من ثمار جهوده العلمية أن انتشرت أكثر مؤلفاته فى عصره وكثر تلاميذه وذيع فكره، فيذكر الإمام ابن فرحون: "وكان- رحمه الله- له مجلس يقرئ فيه الفقه والحديث والعربية "[٣].

وفاته: توفى علامة عصره، وإمام الفقه المالكى ضياء الدين الجندى "سنة سبعٍ وستين وسبعمائة هجريه. يوم الخميس الثانى عشر من شهر ربيعٍ الأول"[٤].

وقد أجمعت المصادر على ذلك منها خير الدين الزركلى[٥]، وعمر رضا كحالة[٦] وحاجى خليفة[٧].

وهناك مذهبٌ غريبٌ فى سنة وفاته أورده الإمام ابن فرحون حيث ذكر أن وفاته كانت فى سنة "تسع وأربعين وسبعمائة"[٨]. وعلى ذلك لا يلتفت إلى ما ذكره.

المَوَّاق : اسمه ،هو الإمام الحافظ الفقيه "محمد بن يوسف بن أبى القاسم بن يوسف العبدرى الأندلسى، الغرناطى، المالكى، الشهير بالمواق، وكنيته أبو عبد الله" [٩].

---

(١) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٢) المرجع السابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٣) المرجع السابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٤) ابن تغرى بردى، مرجع سابق، ج(١١)، ص ٩٢.
(٥) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٢)، ص ٣١٥.
(٦) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٣)، ص٣١٣.
(٧) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٢٨.
(٨) ابن فرحون، مرجع سابق، ج(١)، ص ٣٥٧.
(٩) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١٢)، ص١٣٣.

مولده وبلدته :ولد الإمام المواق "بغرناطة"[١]. تلك البقعة التى اشتهرت بجمالها والتى حمل إليها الفاتحون المسلمون العلم والبيان وصنوف المعرفة الدينية والدنيوية.

هذا ولم تذكر لنا كتب التراجم شيئاً عن سنة ميلاده أو السنوات التى عاشها رحمه الله حتى توفى، فقد سكت عن سنة ميلاده عمر رضا كحالة[٢]. وخير الدين الزركلى[٣] وغيرهما.

وجدير بالذكر هنا أن المصادر الأولية لتراجم الرجال لم تحدثنا عن نشأة هذا الإمام العظيم، والأحداث التى تعرض لها، ورحلته فى طلب العلم، واشتراكه فى أحداث عصره، وآرائه فيها، ولم تسلط ولو بصيصاً خافتاً من الضوء على العوامل التى أثرت فى تكوين فكره، أو الأحداث التى أدت إلى تشكيل معارفه وثقافته.

ونرى أنه يمكن القول بأنه عندما بلغ سن النضج والإدراك بدأت رحلته فى طلب العلم فأخذ يجالس الشيوخ والحفاظ والفقهاء من أهل بلده يسمع منهم ويأخذ عنهم ويستفيد من مختلف علومهم وآدابهم.

ولقد وُصف رحمه الله بـ "عالم غرناطة، وإمامها وصالحها فى وقته"[٤]. وهذا يدل على سعةعلمه وتنوع معارفه وثقافته فضلاً عن ورعه وتقواه فقد كان إمام الناسكين وشيخ أهل الصلاح والورع فى زمانه.

مؤلفاته:ترك لنا هذا الإمام البارع والحافظ الناقد العديد من التآليفِ الجليلةِ والتصانيفِ المفيدةِ فمن أشهر مصنَّفاته رحمه الله[٥]:

---

(١) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٣٠.
(٢) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١٢)، ص١٣٣.
(٣) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٣٠.
(٤) المرجع السابق، ج(٨)، ص ٣٠.
(٥) راجع فى ذلك: - عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١٢)، ص١٣٣.
- خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٣٠.
- حمدى عبد المنعم شلبى، مرجع سابق، ص٨٩.

(١) التاج والإكليل فى شرح مختصر خليل :

وهو كتابُ فقهٍ، وقابل الشارح عبارات المؤلف بما يوافقها أو يخالفها من كلام أهل المذهب كابن رشد وابن الحاجب، فإن لم يجد، بيض لعبارة المؤلف ولم يتكلم عليها بشيءٍ. وهو كتابٌ مطبوعٌ.

(٢) سنن المهتدين فى مقامات الدين :

وفاته:توفى الإمام المواق سنة "سبعٍ وتسعين وثمانمائة "[١]، وقد أجمع المؤرخون على ذلك ولا يلتفت إلى ما قاله الإمام السخاوى أنه توفى سنة "ثمانٍ وثلاثين وثمانمائة"[٢]، فهو فهو مذهبٌ غريبٌ.

الحطاب :

اسمه :هو الإمام الحافظ الثقة الفقيه الأصولى الصوفى المحقق الفاضل "محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين المعروف بالحطاب الرعينى، وكنيته أبو عبد الله شمس الدين"[٣].

مولده :

ولد الإمام الحطاب "واشتهر بمكة" [٤]. تلك المدينة التى حملت الديانة والعدالة والرحمة فكانت دُرَّة فى عقد الإسلام.وكان مولده رحمه الله فى "١٨ رمضان سنة ٩٠٢"[٥].
٩٠٢"[٥].

رحلته فى طلب العلم :

(١) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٣٠.
(٢) السخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، م(٥)، ج(١٠)، (بيروت: مكتبة الحياة، د.ت)، ص ٩٨.
(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٧)، ص٢٣٠.
(٤) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٧)، ص ٢٨٦.
(٥) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٧)، ص٢٣٠.

كانت الرحلة فى طلب العلم سنةً متبعةً عند الأئمة والحفاظ للحديث منهم والفقهاء فكانوا رحمهم الله يجوبون الأقطار الإسلامية من أدناها إلى أقصاها طلباً للحديث والنهل من معين السنة النبوية الشريفة.

والإمام الحطاب سار على سيرة أقرانه فكان لا يقنع رحمه الله بأخذ العلم عن أهل بلده فقط ولكنه رحل إلى "المغرب ومكة وتوفى بطرابلس"(١).

وقد أتاحت له هذه الرحلة المباركة أن يتبوأ مكانةً علميةً رفيعةً فضلاً عن التعمق فى دراسته وحفظه للعلوم الشرعية الحديثية والفقهية والإحاطة بعلوم العربية والأدبية والتخصص فيها حتى بلغ سن النضج والإدراك فترك لنا العديد من المؤلفات العلمية فى شتى الموضوعات فشهدت بنبوغه وسعة ثقافته ومعارفه.

ثناء العلماء عليه :

عُرف الإمام الحطاب بالتثبت والحفظ وسعة الإطلاع والسماع والتبحر فى علوم الحديث الشريف روايةً ودرايةً والتمكن فى علوم الفقه وإتقانها وسرد الآراء المختلفة ببيان المجمع عليه والمختلف فيه.

وقد وصفه الإمام حاجى خليفة بـ "العالم العارف بالله العلاّمة المحقق"(٢).

وعرف رحمه الله بـ "الفقيه، الأصولى، الصوفى"(٣).

ووصف بأنه من "علماء المتصوفين"(٤).وهذا يشهد له بالتقوى والورع فضلاً عن ذكره ضمن الأئمة المشهورين والمصنفين المذكورين.

مؤلفاته :

(١) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٧)، ص ٢٨٦.
(٢) حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٢٨.
(٣) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(٢)، ص٢٣٠.
(٤) خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٧)، ص ٢٨٦.

لم تقتصر جهود الإمام الحطاب على الرحلة فى طلب العلم والتحديث والتفقه والإسماع والتعليم بل تعدت جهوده إلى التأليف والتصنيف فظهرت ثمار جهوده العلمية فى عددٍ غير قليلٍ من الآثار العلمية التى تشهد بعظيم قدره ورفعة مكانته وحفاظته الواعية وبصيرته الناقدة وعقله الراجح.

ومن مصنفاته[1]:

(١) مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل.

وهو شرحٌ جليلٌ يدل على كثرة إطلاع مؤلفه وسعة حفظة لقواعد المذهب وفروعه، وقد أطال النفس فى أوائله وفى كتاب الحج بصفةٍ خاصةٍ حتى لم يكن له فى الشروح نظيرٌ، ولكن يبدو أن الملل قد أدرك صاحبه بعد ذلك.

(٢) قرةُ العين بشرح ورقات إمام الحرمين.

وهو مجلدٌ واحدٌ فى الأصول، مخطوطٌ، وقيل فرغ منها سنة ٩٦٥هـ.

(٣) تحريرُ الكلامِ فى مسائل الالتزام.

(٤) هداية السالك المحتاج. وهو مخطوطٌ فى مناسك الحج، للمعتمر والحاج.

(٥) تفريح القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب.

(٦) شرح نظم نظائر رسالة القيروانى لابن غازى.

(٧) رسالة فى استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة.

(٨) متممة الأجرومية فى علم العربية.

(٩) تحرير الكلام. وهو كتاب فى الفقه.

(١٠) تفسير القرآن: ولم ينتهِ رحمه الله من تكملته.

(١١) القول المتين فى أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين.

---

(١) راجع فى ذلك:
- البغدادى، مرجع سابق، ج(٦)، ص ٢٤٢.
- خير الدين الزركلى، مرجع سابق، ج(٨)، ص ٢٨٦.
- عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج(١١)، ص٢٣٠.
- حاجى خليفة، مرجع سابق، ج(٢)، ص ١٦٢٨.
- حمدى عبد المنعم شلبى، مرجع سابق، ص ٨٩.
- البغدادى، مرجع سابق،ج(٦)، ص ٢٤٢.

(١٢) القول الواضح فى بيان الجوائح.

(١٣) عمدة الراوين فى أحكام الطواعين.

(١٤) البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة.

وفاته :توفى الإمام العالم الفقيه الحطاب سنة "أربع وخمسين وتسعمائة"[١].

(١) البغدادى، مرجع سابق، ج(٦) ص٢٤٢.